أوهام عذاب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا
وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾﴾ الأنعام: ١٠٤

تقديم
أ.د/أحمد عبد الرحيم السايح
أستاذ العقيدة والفلسفة
جامعة الأزهر

تأليف
أستاذ/أحمد عبده ماهر
محام بالنقض ومحكم دولي
داعية وباحث إسلامي

رقم الإيداع بدار الكتب ٢١٨٨٥/٢٠٠٩

الترقيم الدولي: 9-7888-17-977

الطبعة الأولى.... يناير ٢٠١٠

للاتصال بالمؤلف[٠١٢٧٣١١١١٤]

e.mail:maher1.1.1.1.1.1@yahoo

الموقع الإلكتروني www.ISLAM99.blogspot.com

تقديم بقلم

الأستاذ الدكتور/أحمد عبد الرحيم السايح

أستاذ العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر وقطر وأم القرى

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:ـ

مما ينبغي أن نؤكد عليه: أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس متفاوتين في المواهب والعقليات، ولذلك جاءت حركاتهم في الحياة الدنيا تخضع لمعايير المواهب والمنح التي وهبها الله لهذا وذاك.

والمستشار/أحمد عبده ماهر يتمتع بمنح منحها الله إياها، ومواهب كبيرة، لذلك تجده متميزا في كلماته وما يكتب، فالفكر والكلمة حقيقتان متلازمتان في حياته، لذلك جاءت كلماته في مؤلفاته معالم مضيئة على طريق تصحيح ما أفسده الدهر من موروثات ومناهج أضرت بالعقائد، وهو يمتلك طاقات إصلاحية يبذلها دوما لأجل الأمة.

وإذا كان هناك كثير من الكُتّاب دعوا إلى إنقاذ الأمة من وهدة التخلف وغبار الجهل، فإن المؤلف له عبقرية فذّة في عرض مفاهيم التصحيح بما يمتلك من موهبة فريدة وعطاء متميز.

وقضية عذاب القبر لا هم للمتاجرين بالدين إلا ذكرها، وكأنها عمل إنتاجي تفتخر به الأمة، وذلك رغم تعارضها مع مبادئ الإسلام

ودلالات الآيات القرءانية، لذلك جاء المؤلف الماثــل لاجتثــاث جــذور المفاهيم المغلوطة وقلع أصولها ودوافعها النفسية والفكرية، مســتمدا قوته من صريح كتاب الله، وكتب المحدثين في الجرح والتعــديل، مــع عدم إهمال دور العقل القويم في استخراج الأدلة.

فالكتاب الماثل أداة بناء ذات فصول ثلاثة، وملحق به تخــريج لبعض أحاديث من عذاب مزعوم بالقبر، سواء مــا ورد منهــا بكتــب الصحاح أو مما اشتهر القول به على ألسنة الدعاة، فضلا عن تصحيح بعض تحريفات التفسير لكتاب الله.

فالفصل الأول تحت عنوان: موت بلا عذاب بالقبر (تقديم أصولي).

والفصل الثاني تحت عنوان: من الوفاة حتى حساب الآخرة.

والفصل الثالث بعنوان: تفنيد حجج أنصار فكرة عذاب القبر.

والملاحظ أن الفصول الثلاثة تميزت بالتوثيق والتنقيــب ممــا أعطــى الدراسة قوة وعمقا.

ولعل تلك الدراسة توجد في الناس الوعي والتعريف بخطــورة الاستعمال المنحرف والشاذ لبعض مقولات الأقدمين، وعلها تعيد إليهم الشخصية الإسلامية التي رباها رسول الله في الصحابة الأطهار، الذين كانوا يتفاعلون مع الكون بالقرءان، ولم يكونوا يحــاولون قهــر مــن بالكون لتأويلاتهم عن القرءان.

أ.د/أحمد عبد الرحيم السايح

مقدمة المؤلف

بسم الله الحبيب، الرحمن الرحيم الكريم، فمنذ سنوات خلت وأنا أتابع وأشارك حركة تطوير الخطاب الديني التي نحن في أمس الحاجة إليها، وذلك نظرا لما وصل إليه أمر الدعوة والدعاة ببلادنا.

ولقد شاركت في ذلك بمؤلفات عديدة منها كتب (كيف كان خلقه القرءان & إسلامنا والتراث & كنوز ورحمات من القرءان)، وبكثير من الخطب المنبرية، والمقالات التي ترجم الكثير منها إلى لغات متعددة، ونشرت بالعالم عن طريق أجهزة إعلامية مختلفة، وشاركت وحاضرت ببعض المؤتمرات الدولية الراعية لإصلاح الدعوة.

وأحمد الله أن وفقني برحمته للخروج من تدين الإشراك والبدع، إلى تدين القرءان والمنح، وأن هداني لمن يعينونني بقوة كي أخطو بخطوات الرشاد، وشكر خاص وواجب لقناة المحور الفضائية لإسهامها في نشر الحقائق وتنوير الشعوب، وبكل التقدير والعرفان أقدم الفارس النبيل الذي وقف خلف هذا الكتاب وأشكره، وهو الأستاذ/عبد الفتاح عساكر، ذلك الجندي الذي تراه خلف كل الأعمال، وكل الاجتهادات معينا ومؤازرا، فهو الذي بذل الجهد الأكبر في التخريج الفقهي لأحاديث عذاب القبر. كما نتوجه بالشكر للأستاذ/ إبراهيم عياد لمساهماته في التصويب اللغوي.

وعلى القارئ أن يعلم أن التخريج الفقهي للأحاديث الواردة عن عذاب القبر روعي فيه أن يكون مستمدا من كتب علماء الحديث، وتم تطبيق منهجهم بأن الجرح مقدم على التعديل، وقد يصدم القارئ من أحاديث يتناولها الناس كمُسلّمات يؤمنون بها بينما تُمثل عين الصدام مع القرءان فضلا عن فساد سندها.

والكتيب الماثل يضيف تنوُّعًا لمسيرة إصلاح الدعوة في أمر استفحل الاعتقاد فيه، حتى صار الناس يتعوذون من عذاب القبر في صلاتهم، بينما لا شرعية ولا وجود لذلك العذاب المسرحي الموهوم، وهو كتاب قد يستعصي على غير الباحثين تقدير ما به. ولقد حرصت أن يكون ما انتهيت إليه موثقا بأدلة من القرءان والسُّنة النبوية الصحيحة، ومن العقل، وهو إن كان صادما لمعتقدات الكثيرين إلا أن الباحثين عن الحق لابد أن يخضعوا له، بدلا من الخضوع لموروثات الإشراك بالله والعبادة بطقوس بلا علم، والتي دأبنا عليها حفاظا منا على تراث نظنه كله خيراً ونقدسه بلا تمحيص.

ولقد دأب المسلمون على عدم التفكير فيما يخلّفه فينا علماء الماضي، لكننا بعد أن تعلمنا القراءة والكتابة ظللنا على معتقدنا بقصور فكرنا، حتى استيقظنا على متخصصين يقولون برضاع الكبير، وقتل المرتد، وقتل تارك الصلاة، وطهارة بول النبي، والتداوي بأبوال الإبل.

وتَرانا وقد تجمدنا عند رؤية الأقدمين لتفسير كتاب الله، تلك الرؤية التي شابها أخلاط من الإسرائيليات، وروايات مخالفة لكتاب الله تأثر بها المفسرون، فصرنا نُكذّب آيات القرءان لذمة مرويات السُّنة، في الوقت الذي لا نعترف فيه لمجتهد باجتهاد، سواء أكان متخصصا ام غير متخصص، وبرعنا في قذف المجتهدين بكل الوسائل والمذمات.

وصرنا نُمَجّد السُّنة النبوية القولية، ونرفعها على القرءان عمليا، وإن كنا نعتني نظريا وقوليا بأسبقية القرءان، وصار تفسير أئمتنا لآيات كتاب الله يخضع لثقافتهم الروائية عن الحديث النبوي، وعظّمنا النبي ولم نُوَقّر الله، وصرنا فرسانا للسُّنة القولية. بينما لم نستظل بالقرءان، ولفظنا التدبر فيه، ولم يبق لنا منه إلا بعض المطالعة، نظن بها أننا على الحق، فنسأل الله أن يهدينا قبل أن نلقاه.

وتجدنا حين تبرز بيننا دراسة تتصادم مع ما ألفينا عليه آباءنا نسعى بقوة لتأكيد الرّكم القديم وكأنها مبارزة بين أمة بأكملها من جانب، وأحد الأصنام المنبوذة بالضفة الأخرى، لذلك كله نشب فينا فكر عذاب القبر وغيره من الخرافات، لذلك أهيب بأخوتي وأبنائي المسلمين إبان تناولهم للأمر أن ينفذوا بعدالة وموضوعية ما أمرهم الله ﷻ بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ الزمر: ١٨.

وإن ما تم بثه فينا من كوننا غير مؤهلين ــ وبالتالي غير أهل للفكر في دين الله ــ ما هو إلا نوع من تكذيب القرءان، فالله عز وجل يسر لنا القرءان، بينما نقول بصعوبته وعدم إمكان فهمه إلا لمتخصص، والله أمرنا بتدبر القرءان والتفكر والتعقل فيه، بينما نحن نمتنع لذمة مدسوسات إبليسية زرعت فينا هبوط الهمة تجاه كتاب الله.

بل رأيت الناس وهم لا يدركون أن الخطاب القرءاني للناس جميعا على اختلاف لغاتهم، فبالله عليكم إذا ما كان أهل اللغة العربية هذا حالهم.. فماذا يكون حال باقي الأجناس المخاطبين بالقرءان أيضا!!، لا شك أننا بحاجة ماسة لننفض غبر الزخم القديم الذي أهملنا به كتاب الله، فتركنا عقولنا نهبا لآخرين لعقود خلت، ولنتدبر جميعا بلا استثناء كتاب الله، فنحن مأمورون بذلك بلا مراء، بل يسره الله لنا.

ولابد من إعلاء كتاب الله وآياته على المرويات والقصص والأقصوصات التي نستقي منها أمور تديننا، فمهما تصورنا درجة صحتها، فليس لها أن تنافس القرءان إلا عند قلوب أشركت بالله، ولنعلم أن أهل الزمن القديم كانوا رجالا لزمانهم، والله لم يجعل حقبة زمنية بغير رجل، فنحن رجال اليوم وهم كانوا أسياد الأمس وأجدادنا، ولكل منا الفرصة ليكون رجل عصره بلا تسيد أو سيادة من أحد.

المؤلف

أحمد عبده ماهر

الفصل الأول

موت بلا عذاب بالقبر

تقديم أصولي

مقدمة لازمة لفهم أصول الإيمانيات

لعل الكثيرين – إن لم تكن الأغلبية – تشغل فكرهم الدار الآخرة وما يكون فيها من أحداث، ولقد أدرك بعض الدُعاة ولع الناس بذلك الأمر. فأفاضوا وأسهبوا واغترفوا من غث التراث وأضاعوا السمين، وصاروا يدفعون بعلوم ما أنزل الله بها من سلطان، ويزُجُّون بها في أدمغة الناس، وبات أساطين ذلك الفكر عند العامة هم أهل الدين والتدين، وأصبح من يعزف لحنا غير لحنهم مجرما، وتراهم ينعتونه منكرا للسُنَّة أحيانا، وقرءانيا أحيانا أخرى، وهو منكر للمعلوم من الدين بالضرورة عند آخرين، لذلك ماج الناس في أوحال يقول بها بعض المتخصصين قبل العامة، ويترخصون في القذف بلا مبالاة.

وأرى من الضروري لكل مسلم أن يعلم أن الاستدلال على الأحكام الشرعية التي يجب الإيمان بها لابد أن ينبع من نص قطعي الثبوت، وإلا فكيف ستتبع أحكام يلزم الإيمان بها من خلال نصوص ظنية الثبوت؟، وهل ترك الله العقائد والإيمانيات لتفسير الفقهاء؟.

ونصوص القرءان الكريم قطعية الثبوت كلها، لكن بالنسبة لدلالة الآيات فمنها آيات قطعية الدلالة، وأخرى ظنية الدلالة. فالذين قاموا بتأويل نصوص ظنية الدلالة من القرءان الكريم وصوروها أحكاما لعذاب بالقبر، إنما خالفوا أسس الفقه والتفسير والعقيدة، فقد

كان من المتعين عليهم لاستنباط أي حكم يتوجب الإيمان به، أن يكون ذلك من خلال نصوص القرءان قطعية الدلالة، وهو الأمر غير الموجود بالنسبة لعذاب القبر، وبما يمتنع معه الاستنباط.

فمن النصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة. قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ العنكبوت: ٥٧؛ فلأنه قرءان، فهو قطعي الثبوت، ولأننا على يقين بأن هناك موتا محتمًا يليه بعث مؤكد، ففي ذلك قطعية الدلالة. فلا يماري في ذلك النص إلا كافر.

ومن النصوص قطعية الثبوت لكنها ظنية الدلالة، قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ غافر: ٤٦؛ فهو نص قطعي الثبوت لأنه قرءان، وهو ظني الدلالة لأننا اختلفنا في تأويله، فنحن لا نعلم شكل العرض ولا ما إذا كان يعني عذاب القبر أم يعني ابتلاءات دنيوية ثم يليها أشد العذاب بالآخرة. أو يكون ذلك الأمر لآل فرعون فقط كما يدل بذلك النص، أم أنه ينسحب على الناس جميعا؟، ولتلك الاختلافات بيننا فهو نص ظني الدلالة، فلا يُستنبط منه حكم إيماني مُلزم، ومثل قوله تعالى: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الفتح: ١٠؛ فلا يستطيع أحد معرفة شكل ومراد كلمة يد الله، لذلك فهو نص ظني الدلالة.

أما السُنّة النبوية القولية فكلها ظنية الثبوت وظنية الدلالـــة، وهو ما اتفق عليه أهل العلم جميعا بلا خلاف بينهم، فيمكن العمل بها، لكن لا يمكن استخراج الإيمانيات منها، لأن الأحكام التي يجب الإيمــان بها لابد أن تنبع من يقين. فلا يُستخرج اليقين من ظني أبدا، وعلى ذلك فجميع أحاديث عذاب القبر فضلا عن كونها متفقة على الرسول (ســيأتي بيانه)، فلا يمكن الاعتماد عليها في استنباط حكم يؤمن به المرء.

ولا يقولن قائل بالقول الممجوج، بأن السُنّة القوليــة مكملـــة للقرءان، وأن هناك أحاديث تُقرر عذاب القبر. إلا إن كان يظن الــنقص بالقرءان، أو يظن بأن رسول الله ﷺ يخالف ما تنزل عليه من قرءان، وذلك ليس بتكذيب للسُنّة القولية التي يُفضل العمل بها ما لــم تُخــالف نصا قرءانيا، وما لم تُخالف قويم العقل أو الأخلاق، كالرضاع المزعوم للرجل الكبير، أو التداوي بأبوال الإبل وغير ذلك مما علق بها.

أما السُنّة العملية الشارحة للفرائض والمفصلة لها فهي الوجه العملي لتنفيذ كتاب الله، وهي من وحي السماء، وهي عنــدنا فريضــة وليست سُنّة، وهي فقط المبينة بيقين لما أجمله القرءان بــوحي مــن السماء، بما يعني أن الوحي في هذا الشأن تم تبيينه بالوحي.

ولست بدعا من المفكرين والباحثين أو الفقهاء الــذين قــالوا معي بعدم وجود عذاب القبر ولا نعيمه، وهم جمهرة، بل قال بذلك أجِلّة

من علمائنا، منهم فضيلة الشيخ/ محمد متولي الشعراوي، لكن هناك من يمررون للشيخ أشياء ويطمسون أخرى، فلقد ذكر فضيلته ذلك بمجلة حواء بالعدد ١٣٢ بتاريخ ١٩٨٢/٢/١٣ الصفحة رقم ٣١، فقال:[إذن فلا يوجد عذاب بالقبر ولكن عرض ورؤية فقط لموقف الإنسان من عذاب أو نعيم]، كما ذكره أيضا بإصدار أخبار اليوم في كتيب باسم (الدار الآخرة)، وقال بأنه لا يوجد زمن بالقبر، وأتفق مع الشيخ في مسألة عدم وجود عذاب أو زمن بالقبر، وأختلف معه فيما انتهى إليه قوله من عرض ورؤية موقف الإنسان بالقبر. فحقيقته إنه ساعة خروج الروح يدرك الكافر حقيقة كفره وصدق رسالة النبوة.

كما ذكره الأستاذ/محمد عبد المنعم مراد بكتابه (عذاب القبر إفك وضلال مبين)، وكتاب (شفاء الصدر بنفي عذاب القبر) للدكتور/ إسماعيل منصور، وكتاب (استحالة عذاب القبر) للأستاذ/إيهاب حسن عبده. وكلها مراجع لكتابنا الماثل، لكن ماذا نقول للمصفقين الذين يحلو لهم الترويج لفكر العذاب قبل الحساب، وإنكار صريح القرءان؟!!.

إن ما ورثناه من تأويلات بعض السادة المفسرين والدعاة عن وجود عذاب قبر ليس إلا جهدا بشريا أخطأ ولم يدرك الصواب، وأما الأحاديث النبوية الواردة بشأن وجود عذاب قبر فليس فيها حديث واحد صحيح السند رغم ورودها بكتب الصحاح (وذلك على مقياس علم الجرح والتعديل)، وذلك فضلا عن تصادم متون تلك الروايات مع نصوص آيات

القرءان الكريم بما يُبطلها، ولقد تصدى كثير من علماء السُّنة لتلك الأحاديث بالتحليل واستخرجوا عللها – سيرد تفصيله – لكن الناس والدعاة يبقون دوما بأحضان ما ألفوا عليه؛ وما ذلك إلا من نتاج عدم القراءة، وتقديس القديم بنظرية (هذا ما ألفينا عليه آباءنا).

ولقد تنوع هجر المسلمون للقرءان، فهناك من هجر اللفظ بعدم القراءة، وهناك من هجر المعنى بعدم تدبره، وهناك من هجر الهدف القرءاني بعدم تنفيذ وصاياه وأوامره، كل ذلك فضلا عن هجر الكافرين له بوصفه كتاب عقيدة؛ وارتمى الجميع في أودية من كتابات البشر ورواياتهم حتى ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس؛ بالبعد عن كتاب الله، لذلك فالكتاب أداة تنبيه ضد الكفر بآياته.

بل لقد تَهيّج الشعور تجاه القرءان، حتى جعله الناس كتابا لاهوتيا، وجعلوه كتابا يتذكرونه بالجنائز والقبور، فلم يحكّموه في أفكارهم وحياتهم، حتى لا تجد أحدهم إلا ينبري بالاستشهاد بالحديث النبوي في أقواله. بينما تجد آيات القرءان بعيدة عن فكره ومنواله.

وترى الناس إذا ما فكّروا بالقرءان جعلوا من كُتُب المفسرين وسائط بينهم وبين الله، وفي ذلك تأكيد لموات القرءان في قلوبهم. بل تراهم وقد امتنعوا تقريبا عن التمحور لتدبر القرءان، بينما يتمحورون لقراءة جهد السابقين بلا فكر منهم فيه، وكأن معاني الآيات توقفت عند

جهد السابقين وعقولهم، وهو الأمر الذي جعل الـدرب العملـي لأمـة الإسلام الحالية في وادٍ ودستورها ـ القرءان ـ بوادٍ آخر.

وترى الناس لا تُدرك عن حياتها في عالم الذَّر شيئاً، كمـا لا يُدركون شيئاً عن حياتهم وهم أجِنَّة في بطون أُمهاتهم، لكنهم ترسـموا مستقبلهم في قبورهم من خلال مرويات ما أنزل الله بها من سلطان.

ولقد تلونت بعض العقول وانتقت من كتاب الله ما يحلو لهـا، وتأولته على أنه عذاب قبر، وتركت بالمقابل صريح الآيات التي تؤكـد عدم وجوده، فتسببوا في إضلال الأمة. بل في السقوط في هُوَّة التكذيب لكتاب الله، بل دسوا التعوذ من عذاب القبر المبتدع داخل صلوات الناس باسم السُّنة النبوية، والسُّنة بريئة من ذلك التعوذ الدخيل.

وسوف نوالي بالشرح خلال الفصل الثاني من تلـك الدراسـة كيف ترك مشاهير الدعاة الكثير من الدلائل الواضحة عن عدم وجـود مرحلية أو زمن داخل القبور، فارتموا في أودية الوهم، حتى اسـتفحل شرهم وانتشر كالنار في الهشيم بجسد الأمة، وسيثبت للقارئ تنـاقض كافة أحاديث عذاب القبر مع آيات كتاب الله، وسيتحقق الأمر من مئات الأدلة القرءانية الواضحة، وليس من خلال تأويلاتهم الفاسدة لآيتين أو ثلاث تصوروا بالوهم أنها العذاب المزعوم، ولـيس للنعيم المزعـوم بالقبر أي دليل من القرءان، لذلك اشتهر عذاب القبر ولم يشتهر نعيمه.

السنّة النبوية القولية وركائز الهداية

إن الأحاديث النبوية القولية محل خلاف وجدل كبير. وهي كما يقول علماء الحديث ظنية الثبوت وظنية الدلالة، أفستبنى العقائد والإيمانيات على أسس ظنية من الحديث النبوي، أو على أسس تأويلية لمتأولين للآيات ظنية الدلالة بالقرءان؟.

إن فصل الخطاب في الأمر أن الحديث النبوي إن لم يتفق مع ما جاء بكتاب الله فلا يمكن الحكم بصحته حتى وإن خرج البخاري بشخصه من قبره ووقف بجانب الحديث يسانده. فقد نشأ فن تحقير ومصادمة القرءان باسم (حديث صحيح). وهو ما لا يسمح به أي عاقل غيور على دينه، وأراه إشراكا يصاحب إيمان أولئك المخالفين للقرءان.

وبذلك المصطلح (حديث صحيح)، وببعض العلوم الوضعية، تمت الفُتيا بطلاق الهازل وزواج المازح، ومن السُنّة الصحيحة عندهم إرضاع المرأة للرجل الكبير. وأصبح للقبر عذاب وحساب منسوب للنبي وللأحاديث، وأخذ بذلك العذاب الشيخ الغزالي القديم في كتابه إحياء علوم الدين، وابن تيمية في كتابه العقيدة الواسطية.

وما أرى ذلك إلا تسلطا من الدُعاة على عقيدة أهل القبلة. وتسلطا أيضا على القرءان، حيث أصبح حساب الآخرة يخص الله والقرءان، وصارت الدعوة إلى الله بالقتال كما تريد سُنّتهم المزيفة.

بدلا من الحكمة والموعظة الحسنة، وبدلا من ترك الناس من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، كما أمر الله في كتابه. وجعلوا للردة حدا يزهقون به الأنفس بلا سند من علم قويم. والقتل عندهم لترك الصلاة، وللزنا وغيرهم، كل ذلك فعلوه باسم السنة النبوية البريئة منهم.

ويمكن للقارئ الذي يستطيع الخروج من شرنقة الجمود الفكري والموروثات أن يجد الحقيقة بتعقله لآيات كتاب الله وتفهمه وموازنته بين الأقوال، وبذلك يكون ممن نفذوا قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ الزمر: ١٨ فأنت دوما مكلف بأن توازن بعقلك بين ما يقال وما يتم النصب به والافتراء بالكذب أو الضلال، باسم ما يطلقون عليه أنه من الدين، وحق الاختيار والموازنة بين الأقوال أمر واجب على كل مسلم ومسلمة، مهما قلت درجة ثقافته.

وإياك أن تستمع لإفك بعض الدعاة بأن للعقل حدودا، وأنه لا يحق لك التفكير إلا إذا درست بالأزهر وحده، فإنه إن كان الأمر كذلك فلست بمكنتك أن تعرف أحسن الكلام من أسوأ الكلام، وبالتالي فلن تنفذ ما أمرك الله بسورة الزمر، أم تراك تتصور أن الذين سينفذون ذلك التكليف هم الأزهريون وبعض أصحاب اللحى فقط؟!، أو أن القرءان

يتوجه بالخطاب للمتعلمين من العرب، ولا يحق للإنجليز أو الأميين أن يوازنوا بين ما يقال لهم!؟.

إنني أهيب بكل من تعلّم القراءة والكتابة أن يرقي بنفسه فكريا من خلال تنفيذ الأمر الإلهي (اقرأ)، وليعلم المسلم أن دعوة النبي كانت عبر تلاوته للنص القرءاني بلا تزيّد، فلم يكن يشرح للمشركين الإسلام والقرءان، بل كانوا هم يفهمونه بما يسّره الله للناس لفهم النص القرءاني: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ القمر: ١٧&٢٢&٣٢&٤٠، وكانوا يؤمنون، أو يعاندون الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت: ﴿ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴾ الأنفال: ٦، فهل تجحد الحق مثلهم؟.

وقرءاننا منزّل لكل البشرية، سواء أكانوا عربا أو عجما، ولكل الطاقات الفكرية والثقافية، ويسره لكل هؤلاء وغيرهم، لكن الغريب أن أكثر دعاتنا يصرُّون على قصور أدمغتنا حتى عن أدمغة المشركين الأجلاف أيام مهد الدعوة، وقاموا بغرس ذلك في الناس فلا تكاد تجد من يقبل دينا إلا من معمّم، وترى الناس تخاف أن تفكّر، وهم يجعلون مرجعيتهم في تفسير القرءان للطبري والقرطبي وابن كثير وغيرهم من الأقدمين، بعد أن زينها لهم المتخصصون، رغم تيقنهم من تشبع تلك التفاسير بالإسرائيليات، وتجد الناس ترفض أخذ العلم من باحث معاصر

يحدوه الإخلاص لدين الإسلام، وهو أحد أهم أسباب فساد أمرهم، وتوقف تقدمهم، ونزوح آخرين منهم إلى ديانات أخرى.

وننظر القارئ إلى قول الشيخ شلتوت – يرحمه الله – في حكم الأحاديث النبوية بالنسبة للعقائد، فيرى فضيلته أن العقائد لا تثبت إلا بالدليل العقلي الذي سلمت مقدماته، وانتهت في أحكامها إلى الحس أو الضرورة لأن العقائد مبناها اليقين، واليقين سبيله العقل والنظر الصحيح، أو الدليل النقلي وهو القرءان الكريم المحكم الدلالة، أو السُنة الصحيحة المتواترة المحكمة في دلالتها، وذلك نادر الوجود في الأحاديث. (المرجع: رسالة الدكتوراة الخاصة بالدكتور/عبد العزيز عزت عبد الحكيم محمود وموضوعها الشيخ شلتوت ومنهجه في التفسير، وأشرف عليها الدكتور/ محمد عبد المنعم القيعي رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين بالقاهرة عام ١٩٨٩).

ويذكر الشيخ/ محمود محمد خطاب السبكي – يرحمه الله – وهو الرئيس العام الأسبق للجمعيات الشرعية بمصر، بل هو أول مؤسس لها، وأول إمام لأهل السُنة بمصر. حيث ذكر بالجزء الأول من كتابه (الدين الخالص) بالصفحة الرابعة ما يلي: [إن حديث الآحاد لا يكفي لتكوين عقيدة يطمئن المرء إليها ويعلق أمله يوم لقاء الله عليها، لأن رواة الآحاد ليسوا معصومين وليست أخبارهم متواترة المعنى، وهم بشر ليسوا أنبياء وبالتالي فإنه يجوز عليهم النسيان. وحينئذ لا

يكون صدقهم معلوما بل مظنونا، فثبت أن خبر الواحد مظنون، ووجب أن لا يجوز التمسك به في العقائد].

إن فكرة عذاب القبر ساندها المزوِّرون من الأقدمين بأحاديث نسبوها للنبي الخاتم، وقالوا حديث صحيح، والذين من بعدهم تأثروا بتلك الأحاديث المزيفة لحبهم رسول الله، فتأولوا بغير حق بعض الآيات القرءانية، وتصوروها تدعم ذلك الزيف المزعوم عن عذاب القبر، وبهذا انتشر الزيف في تفسير كتاب الله أيضا.

بل سيجد القارئ تخريج الأحاديث المنسوبة زورًا للنبي، وقد وضعتها بنهاية الكتاب، واشترك في تخريج بعضها جماعة أنصار السُّنة ونشرتها بمجلتها المسماة (التوحيد) بالعدد الصادر في شهر شوال لعام ١٤٣٠هـ (سبتمبر ٢٠٠٩)، تلك الأحاديث التي تتحدث عن أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، وعن ضمة القبر، وعن تحدث القبر مع الميت، وجميعها معلولة السند فضلا عن المتن، وعموما فالأمر لا يحتاج لتخريج الأحاديث، لأن جميع روايات عذاب القبر مُخالفة مُخالفة صريحة لكتاب الله، وهو ما سنبينه بالفصل الثالث من الكتاب، فضلا عن ملحق تخريج الأحاديث بآخر الكتاب.

لكن لا يجب أن يفهم القارئ أن الجماعة تتبنى رأيي في عدم وجود عذاب بالقبر، فأنا أختلف معهم في كثير مما انتهت إليه فتاويهم

وأفكارهم الخاصة، وإن كنت أحمل التقدير لبعض مشايخهم وأتباعهم، وهناك تخريج أيضا لأحاديث صحيحي البخاري ومسلم من واقع كُتب الرجال التي وضعها أئمة أهل السُنة، ليتضح أن الأمر كله يقع بين التدليس والإسفاف والوهم، ولعله بعض إسرائيلياتنا التي نحافظ عليها بتراثنا ولا نريد تصويبه.

أذكر ذلك من باب أمانة العرض العلمي، لذلك يكفيك أن تكون صاحب قراءة في كتاب الله، قائلين لا تُحدّده لحية السلفية، ولا عمامة أزهرية، ولا مسبحة الصوفية، ولا غيرهم من الفرق الإسلامية، إنما حدده الوحي السماوي في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتجد رواياتهم عن رسول الله وقد فاتها ما فاتها، وتناقض أولها مع آخرها، ومع القرءان، ومع هذا فهم لا ينتهون ولا يتنبهون.

وأما ما يُزوّرونه ثم يَتبعونه بقولهم: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ الحشر: ٧، فما أراد إلا استغلالا لبساطة الناس وعدم اطلاعهم، مع تأويل فاسد لمعنى ما نزل من الحق، وتصور منحرف لمهمة النبي.

وأبسط ما يمكن أن نضرب به المثل في هذا الشأن ليفهمه الناس: [إن للحكومة أن تأمر وتمنع، لكن للطبيب أن يوصي وينهى]. فكلمة (ما آتاكم)، وكلمة (وما نهاكم) ليست أحكاما، وهي تختلف عن

قوله تعالى: (إن الله يأمركم)، وقوله (ولا تقولوا)، وقوله تعالى (حرمت عليكم)، وغير ذلك من الأوامر واجبة التنفيذ، أو المنع الملزم للعباد.

معنى ذلك أن قوله تعالى:﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ إنما يعني وصاياه ﷺ، فضلا عن أن أمر تلك الآية يحكي عن توزيع الفيء وعدم الاعتراض على قسمة رسول الله للصحابة فيه، وهو أمر خارج الإطار الماثل، وراجع (أول ص٧٥) من هذا الكتاب. لكن من أراد عنه المزيد، وعن معنى (وما ينطق عن الهوى)، فليرجع إلى كتابنا (كيف كان خلقه القرءان) فبه المزيد.

القبر وأوهامه ليست من الإيمانيات:

ومن بين ما ابتلينا به أن كل من سمع كلمة من شيخه فهو يترسم الكفر فيمن قال بغيرها، وذلك من انتشار الجهل بدين الله، وكثرة استحواذ أئمة البدع على فكر الناس، وتعطل العقل عن العمل، فالإيمانيات ذكرها الله في كتابه وحددها، وليس من بينها عذاب القبر أو نعيمه، وفي ذلك يقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ (٢٨٥) ﴾

البقرة: ٢٨٥.

ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ النساء: ١٣٦؛ فتلكم هي الإيمانيات الواردة بكتاب الله بلا تعقيد، وليس من بينها عـذاب القبـر المزعوم ونعيمه المغبون.

وبالسنّة النبوية لا نرى أثرا لعذاب القبر فيما يجب الإيمان به، ففي فهرس الترمذي - حديث رقم ٣٧٣٨ - قال: قال عمر بن الخطاب: كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل شديد بياض الثيـاب شـديد سـواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى أتى النبي ﷺ، فألزق ركبته بركبته، ثم قال: يا محمد ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بـالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشـره، قـال فمـا الإسلام، قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وحج البيت، وصوم رمضان. قال: فما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك......

وهو الأمر الذي حدد الإيمانيات تفصيلا بـالقرءان وبالسُّـنة، فليس من بينها عذاب القبر. فتلكم هي هداية القرءان والسنّة في أمـر حكم عذاب القبر والإيمان به أو عدم الإيمان، وذلك حتى لا ينحرف غرٌ

مفتون بفتات من بعض القراءات، أو شهادة علمية حصل عليها بليل فينبري بها ويستخرج نعوتا بالكفر يهجو بها المخالفين لرأيه.

خلاصة الفصل:

لذلك يجب على المسلم أن يجعل للقرءان الهيمنة فيما يخص الإيمانيات والعقائد، ويليه السُنّة المتواترة التي ينقلها جماعة مسلمة عن جماعة مسلمة أخرى، فيستحيل على الجميع توافقهم على الكذب، حتى يكون ما يؤمن به لا جدال فيه ولا شك، وأن يستدل بعد ذلك بعقله على ما استخلصه من كتاب وسُنّة متواترة، فالإيمان يكون بالعقل، والعقيدة يستدل بها العقل القويم من خلال الكتاب والسُنّة المتواترة، فبذلك النهج يثبت إيمان المرء من خلال مرجعية رصينة. فالسقطات تكون من خلال صاحب العقل العاطل. والسُنّة النبوية بكتب الحديث لا يصح استخراج حكم عقائدي منها وحدها، لأنها أحاديث آحاد، وقد سبق ذكر رأي أئمة السُنّة في حكم أحاديث الآحاد (راجع ص١٧).

فكي تقف على حقيقة أمر عذاب القبر ونعيمه لابد أن تدرس بالتمحيص أعمال الدار الآخرة وأحوالها كلها، وعليك مراجعة معاني آيات كتاب الله ومراميها بدقة، وليس كما يفعل بعض الدعاة فيقتطعون آية واحدة من سياقها، يستدلون بتأويلاتهم المنحرفة عنها لتزكية أفكارهم المريضة بداء تعظيم وتقديم الرواية على حساب الآية.

الفصل الثاني

من الوفاة حتى حساب الآخرة

أولا:الوفاة وخروج الروح (الموت والوفاة):

يرى الكثيرون أن الإنسان يتكون من روح وجسد، ويرون أن الإنسان حين يموت تخرج روحه، فيقولون صعدت روحه إلى بارئها، وهم بذلك المفهوم يُخرجون النَّفس من حساباتهم، ومن غير المقبول أن نتصور أن النَّفس هي الرُّوح، وذلك لورود الكلمتين بالقرءان (النفس & الروح)، وكلٌ لها معناها المُتفرِّد. وإذا كان هناك فكر يرى بأن قول المولى عز وجل: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ص:٧٢ يعني أن الله نفخ في سيدنا آدم من روحه سبحانه وتعالى، فإنه إفك كبير، وذلك أن المتتبع لكلمة روح هنا وبالآيات السابقة يرى بما لا يدع مجالا للشك، أنها تعني العلم والعقل والمنطق والأداء اللاإرادي لأجزاء الجسم، لكن لا تعني أبدا أن بالإنسان روح الله سبحانه – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا – فالله أزلي لا يموت، وهو الأول فليس قبله شيء ولا واحد، وليس مكونا من أجزاء (جسد ونفس وروح)، بل هو الحي الواحد الأحد ﷻ.

لذلك لابد أن أصحب القارئ إلى قراءة بتدبر لبعض مما ورد عن النفس بالقرءان، وذلك فيما يلي:ـ

١ـ يقول تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٥؛ يعني أن النفس هي التي تموت.

٢ـ ويقول تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٥ . فجماع البندين رقم ١&٢ يعني أن النفس هي التي تموت.

٣ـ ويقول سبحانه: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ ق: ٢١.

٤ـ ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ الفجر: ٢٧ ـ ٢٨.فجماع البندين ٣&٤ يعني أن النفس هي التي يبشرها الله بالطمأنينة وهي التي تذهب إليه سبحانه وتعالى.

٥ـ ويقول تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ يوسف: ٥٣؛ فذلك يعني أن النفس هي التي تعصي، وأن من المحامد لوم الإنسان نفسه ومحاسبتها قبل لقاء الله.

٦ـ ويقول جل وعلا: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾ القيامة: ٢؛ فالنفس هي التي تعيد النظر في سلوكياتها.

٧ـ ويقول سبحانه: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ ﴾ التكوير: ٧. أي عادت النفوس للأجساد البالية عند البعث، بعد إعادة تشكيل هياكلها الجسدية ثم إحيائها بالنَّفس.

وهكذا نرى من الآيات السابقات أن النَّفس هي التي تموت، وهي التي تُبعث، وهي التي تُزوج بأجسادها يوم القيامة، وهي التي يناديها الله، وهي التي ترجع إلى الله...وهكذا.

والله خلقنا من نفس واحدة، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ النساء: ١.

والله ألهم كل نفس طريق الفجور وطريق التقوى، فقال سبحانه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾ الشمس: ٧ – ٨.

والنَّفس هي التي تجعلك تتحرك الحركات الإرادية، وبغيرها تكون بلا تعقُّل، وإذا مات ابن آدم انسلخت منه نفسه وليست روحه. وذلك من قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الزمر: ٤٢.

ولكي يرى كل منا عمله، وتتم محاسبته، وليدرك موقفه، فإنه حين تقوم القيامة، يعيد الله له نفسه إلى جسده، حتى تعمل أجهزة الجسم وأعضاؤه، ويحُس الإنسان ويُدرك، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ ﴾ التكوير: ٧، أي يتم تزويج النفوس بأجسادها مرة أخرى عند البعث.

من إجمالي البيان السابق نرى أن نفسك التي بين جنبيك تحتاج منك العناية، كي تنقذها وجسدك من عذاب أليم يوم القيامة، وتستودعها نعيمًا عظيمًا وأبديًا. ولا شأن للروح بالأمر، لذلك يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ المائدة: ١٠٥.

أما الروح فهي الفطرة الأصلية التي فطر الله الناس عليها (خوف، فرح، معرفة فطرية للأشياء وأوصافها الأساسية)، وهي حركة الجسد غير الإرادية كالتنفس وحركة القلب، فأنت تنام ونفسك عند الله، بينما جميع أجهزتك وأعضائك الحيوية تعمل، فتلكم هي فطرة الله في جسدك، وتلك الفطرة العلمية والعملية الأساسية تُسمى الروح. والروح هي التي سببت سجود الملائكة لآدم ﷺ، وهي من أمر الله، أي من عالم الأمر(كن فيكون)، ولا نكاد نفقه من كنهها إلا قليلا، لكن الانتباه، والاختيار، والوفاة، كل ذلك من خصائص النَّفْس.

والروح بالنسبة للإنسان كالطاقة الكهربائية بالنسبة للأجهزة الكهربائية، فهي تسري فيك لتكون جاهزا، لكنها لا تُحكم إلا من خلال مفتاح وهو النفس التي تجعل للإرادة كيانا في تصرفات العبد، فيمكن للعبد أن يقطع تيار الحياة بإرادته (بنفسه) بالانتحار. يعني ذلك أن النفس لها سيطرة على الروح والجسد، وجعل الله قانون ذلك في كتاب، فيمكنك صيانة نفسك وجسدك وروحك، ويمكنك أيضا تبديد الجميع، وتلكم هي حرية الاختيار التي منحها الله لك.

بينما الروح التي يعتقد بها الناس، والتي يقول عنها ربنا سبحانه وتعالى:

١ـ ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء: ٨٥؛ فهي كما ذكرنا القوى المحركة لا إراديا للجسد. أما قوله سبحانه: (وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) فهي تعني علمنا كله، سواء أكان عن الروح أو عن غيرها. فعلمنا جميعا في عمومه قليل، وليس الأمر أن الله يطرح غموضا عن الروح بذاتها.

ولكلمة الروح معان أخرى، حيث يقول المولى عز وجل:

٢ـ ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥؛ فالروح هنا جبريل.

٣ـــ ويقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ النبأ: ٣٨، فيعني ذلك أن الرّوح ستكون أحد الشهود على العبد يوم القيامة.

٤ـــ ويقول جلّ وعلا: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة: ٢٢؛ أي أن التأييد بالروح يكون للعباد المؤمنين دون الآخرين.

ولقد قمنا بالاحتفاء باليوم الأربعين لوفاة موتانا، ظنا منا أن الأرواح تنزل إلى أفنية قبورها في ذلك اليوم، وتزيد آخرون، فتصوروا الأرواح تنزل كل يوم خميس وليلة الجمعة، وبالأعياد، على أفنية قبورها، لذلك فهم يشدّون الرّحال لزيارة القبور في تلك الأزمان والأوقات، وما ذلك إلا لتغليبهم لدور الروح على دور النفس في الكيان البشري، وهو عكس الحقيقة الواردة بكتاب الله عن النفس والروح.

مرحلة خروج النفس من الجسد

بعد أن علمنا بأن النفس هي التي تخرج من الجسد وينتج عن ذلك الموت للجسد، والوفاة للنفس، لكن يبقى سؤال: هل تخرج نفس

الكافر وتغادر الدنيا كما تخرج نفس المؤمن؟، لا شك أن من عاش لدنياه بلا دين غير كمن عاش بدينه لحسن دنياه، فمن كان يعيش بالدين وللدين ويذكر الله كثيرا فإنه يكون من المبشرين المطمئنين، فتخرج نفسه وتغادر الرداء الطيني (الجسد) بسهولة وطمأنينة، وفي ذلك يقول تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾ الفجر: ٢٧ - ٣٠، فتخرج روحه سهلة وفي ذلك يقول تعالى: (وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا).

أما الكافر الذي لم يؤمن بالله وكتبه ورسله، فإنه يفزع ويصيح حين تحضره الوفاة، حيث يقول تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ ﴾ المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠، وذلك لأنه لم يكن يطمئن إلا للدنيا وعناصرها، وتكون ساعة الاحتضار هي أول مراتب تذكره ما كان يقال له، ويشعر حينها بمذاق الموت، كما فعل فرعون، لكن هيهات له أن يعود، فالفرصة تكون لمرة واحدة، فذاك قوله تعالى(وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا).

وفي شأن وفاة المؤمن والكافر وإخراج الملائكة للنفس من الجسد يقول تعالى: ﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ ﴾ النازعات: ١

- ٢: ثم يُبعثون وهم يعلمون إن كانت نُشطت نفوسهم أو نُزعت منهم، فالكافر يقول: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ يس: ٥٢.

والكافر يعرف أيضا بسوء مصيره حين يموت من الملائكة، لكنه لا يُعذب ولا يعرف تفاصيل مقعده من النار كما يزعم بذلك من زعم، وذلك من قوله تعالى: ﴿ ...وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ الأنعام: ٩٣، فلذلك فهو ينادي يوم البعث ويقول: يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، لأنه علم يقينا بأن القيامة العامة هي يوم الجزاء.

ثانيا: تشييع الجنازة:

لماذا قام رسول الله للجنازة؟، وهل تكلّم الجنازة المشيعين وتقول لهم (يا ويلها أين تذهبون بها)، وقولهم عن الجنازة التي تكون لأحد الصالحين فإنها تقول – وفق زعمهم – (أسرعوا بي، أسرعوا بي، والله لو علمتم ما أمامي لأسرعتم)، وجعلوا كل ذلك أحاديث ينسبونها لسيدنا النبي محمد ﷺ.

وأسهبوا في غُسل وتكفين الميت واعتبروهما من السُنة، وأعجب كل العجب، لكون الدفن والكفن فيه سُنّة، وفيه فرض، وفيه واجب، وأرى كل ذلك من تعقيدات الفقهاء، ورفاهية فكرية في غير ما سبب، لكني لا أعني إلغاء التكفين والغُسل، لكن كنت أود أن يكون ذكر الأمر باقتصاد ملائم للموضوع.

وقالوا بضرورة أن تكون جُثث النساء في جانب، وجثث الرجال في الجانب الآخر، أفتُرى ذلك لأن الجنس موجود بالقبر في منطقهم، أم أنه نوع من الحجاب بعد الموت؟، ولست بصدد دعوة لدمج الجثث، لكني أعني أن ذلك قد يكون ثقافة تفضيل وليس علم تأصيل، ولا حرمة فيه ولا تحليل، وقد لا يكون علم بالأصل.

فطُرق غُسل الميت وتنوع الأكفان، وإفراد أبواب بالفقه للجنائز، مع الإسهاب المُسِف في ذلك: لا يقدم في مصيره ولا يؤخر مهما فعل الورثة، فلا أرى للتعاليم الفقهية أية قيمة في ذلك الشأن، إلا في أضيق الحدود، فالناس يموتون منذ آلاف السنين قبل رسالة سيدنا محمد ﷺ، ويتم تغسيلهم وتكفينهم بدون شروط واجبة ولا مستحبة، ولا تكلُف في ذلك الأمر إلا عند الذين تصوروا ذلك علماً وتقوى، بينما هم في رفاهية القشور الثقافية.

وقيام رسول الله ﷺ للجنازة إنما هو قيام إجلال لقدر الله بالموت، حين معاينة رحلة النفس إلى مستقرها، ورحلة الجسد إلى مستقره يراه يقينا، ويراه متقذا، لذلك فهو يقوم وكله خشوع مناسب للمقام، لذلك فقد قام ﷺ لجنازة يهودي...كما يروي ذلك من رواه.

لكن الجنازة لا تكلم أحدا، وليست منوطة بالكلام أصلا، وإذا كانت تتكلم فلا يسمعها أحد. فليس ذلك إلا زراعة الوهم الذي لا فائدة منه، وهو الذي أنشأه فقهاء تزوير الأحاديث، حتى نكون جميعا مرضى بالوهم والعته، وقمنا نحن بتوريث الأجيال ذلك البله على أنه أحاديث نبوية، حتى لا ينفك الناس عنه.

ثالثا: القبر وعذابه المزعوم:

سبق لي الكتابة عن ذلك الأمر في كتابنا: (كنوز ورحمات من القرءان): تحت عنوان المسلم والأوهام، فيمكن الرجوع إليه، لكني سأثير الجدل العقلي والفقهي حوله في الطرح الماثل:

لقد اكتسب الكثير من الدعاة شهرة بلا حق، إلا من جهل كثير من الناس، وذلك بعد أن سحقوا أهداف القرءان وآياته بتأويلاتهم عن وجود عذاب بالقبر، وجمعوا أموالا طائلة من مؤلفات لهم عن ذلك العذاب المسرحي المزعوم. وكثرت مؤلفاتهم باتجاه وجود عذاب للقبر، وانعدمت تقريبا مؤلفاتهم عن نعيم القبر، وساعد على نشر تلك الفكرة

النكدة جهل المسلمين بدينهم وفقدانهم تدبر القرءان، وانعدام التفكر في دين الله، واعتماد الناس على بعض من فئة المحتكرين المسماة بالمتخصصين. مع وجود زيف بالتراث أفقد الناس اتزانهم الفكري. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تم الطعن على دين كل من ينبس ببنت شفة يقول بعدم وجود عذاب قبر. وأقام سدنة العذاب على الإنترنت الأعاجيب، فقاموا بتصوير أرض يتصاعد منها دخان، فقالوا إنه عذاب القبر، ورصدوا له الموسيقى التصويرية والتعوذ الذي يصاحبه صدى صوت لزوم الرعب والإجلال.

ومن منبري هذا، أدعو لعدة مناظرات تليفزيونية علنية عامة على الهواء مباشرة لمواجهة أساطين عذاب القبر من المتخصصين، وذلك من خلال مرجعية القرءان والسنة، لأخلص المسلمين من تلك الخرافة المستبطة بعقول خرجت عن سوية القرءان إلى بحبوحة روايات دسها الشيطان، وأدعو الإعلاميين بالمعاونة في الطرح الإعلامي لتلك المناظرات التي أرجو أن تخصص لها عدة حلقات لتبيان حقيقة التدين والاعتقاد في ذلك الأمر، وذلك عين مهمة الإعلام لتنوير الناس حتى يفيقوا من مخدر الإفك الممنهج.

ولست أدري كيف استساغوا وجود عذاب قبل الحساب؟، وما فائدة وزن الأعمال يوم القيامة؟، والله يقول: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ

الْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٧، بما يعني أن العدل يكون حينها.

ولماذا ستجادل كل نفس عن نفسها يوم القيامة؟، ﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَـٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ النحل: ١١١. أيكون بعد العذاب جدال، وهل يكون البعث فاصلاً بين عذابين؟، أهي كما يقول مذيع التلفاز (فاصل ونواصل)!!.

وما فائدة الشهود على العبد طالما تم تنفيذ العذاب مسبقا؟. ولماذا هان أمر عذاب القبر على الله فلم يُصرِّح به فيما صرَّح؟، وهل تركه لجماعة الفقهاء فقط ليستنبطوه؟، ولماذا سُمِّيَ يوم القيامة بيوم الحساب طالما هناك عذاب قبل الحساب؟.

وماذا بشأن الصدقة الجارية؟، ألن تزيد في حسنات صاحبها بعد موته ويجري أجرها له؟، وماذا بشأن البدع وأصحابها؟، وفتنة الناس لتشخيص الله، ألن يزيد كثرة العمل بها أصحابها بعد موتهم آثاما فوق الآثام؟، فهل سيتعذبون دون أن يُستكمل حصر أعمالهم؟.

ولماذا يستثقل أصحابها أمر البعث ويقولون إنهم كانوا في حالة رقاد؟، ﴿ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ

ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ يس: ٥٢؛ إن فترة الرقاد تعني فترة غياب عن الوعي والإدراك، فهم حين يقولون بأنهم قاموا من مرقدهم فقد قاموا من سُبات لا إدراك فيه.

وآخرون يُقسمون بأن فترة القبر مرت عليهم، وكأنها ساعة واحدة، ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الروم: ٥٥، أمرّت عليهم سنوات عذاب القبر ودهوره وكأنها ساعة واحدة؟، أم أنهم كانوا بحالة رُقاد وسُبات لا يدركون؟.

وحين تسأل الملائكة بني الإنس عن مُدّة مكوثهم في الأرض فإنهم يُقدّرونها بيوم أو بعض يوم، وما ذلك إلا لتوقف مرور الزمن بعد الموت، وسرعته قبلها، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًاۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١١٢ – ١١٤؛ فهل تمر سنوات العذاب سريعة على المعذبين ولا يستثقلونها؟.

وكل ذلك الزيف الذي حشوا به أدمغتنا يدحضه الله الذي لا يعاقب الناس إلا يوم القيامة، بل يؤخرهم عمدا لذلك اليوم، وفي ذلك يقول ربنا: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا

﴿ يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ ابراهيم:٤٢، فكلهم تم تأخيرهم ليوم واحد بعينه، هو يوم القيامة، وليس يوما قبله.

ولماذا يتمنى الكافر أن يكون تُرابا؟، فإذا ما كان يُعذَّب في قبره أفيتمنى أن يعود مرة أخرى إلى التراب؟، أم أن أصحاب فكرة عذاب القبر سيقولون مرّة انه عذاب بتراب القبر؟، ومرّة أخرى يقولون بأنه عذاب بالبرزخ، ومرّة يقولون بأنه عذاب يقع على الجسد، وآخرون منهم يقولون بأنه يقع على النّفس والجسد معا، وصنف ثالث يقول بأن العذاب يقع على النّفس فقط، ومع ذلك يتمنى الكافر أن يعود إلى التراب، بل ويكون تُرابا: ﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴾ النبأ:٤٠، فيا تُرى هل بعد أن يعلم الكافر حقيقة سوء عمله يتمنى أن يعود إلى عذاب التراب، أم إلى سُبات التُّراب، بل هو يريد أن ينقلب ليكون تُراب؟!، وما ذلك إلا لأنه لم يُعاين بالتراب أي عذاب.

ولماذا يتعجب من تسلّم كتابه بيمينه من أنه نجا من عذاب الله؟، ألم يكن ينعم في قبره كما يزعمون؟، ولماذا يولول من تسلّم كتابه بشماله ويقول بأنه لم يدرِ حسابه الا يوم القيامة؟. هل عجزنا عن إدراك التناقض بين النص وبين ما نعتقد؟، ..(سيأتي تفصيل ذلك لاحقا).

والروح بالنسبة للإنسان كالطاقة الكهربائية بالنسبة للأجهزة الكهربائية، فهي تسري فيك لتكون جاهزا، لكنها لا تُحكم إلا من خلال مفتاح وهو النَفس التي تجعل للإرادة كيانًا في تصرفات العبد، فيمكن للعبد أن يقطع تيار الحياة بإرادته (بنفسه) بالانتحار، يعني ذلك أن النفس لها سيطرة على الروح والجسد، وجعل الله قانون ذلك في كتاب، فيمكنك صيانة نفسك وجسدك وروحك، ويمكنك أيضا تبديد الجميع، وتلكم هي حرية الاختيار التي منحها الله لك.

بينما الروح التي يعتقد بها الناس، والتي يقول عنها ربنا سبحانه وتعالى:

١- ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء: ٨٥؛ فهي كما ذكرنا القوى المحركة لا إراديا للجسد، أما قوله سبحانه: (وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) فهي تعني علمنا كلّه، سواء أكان عن الروح أو عن غيرها، فعلمنا جميعا في عمومه قليل، وليس الأمر أن الله يطرح غموضا عن الروح بذاتها.

ولكلمة الروح معان أخرى، حيث يقول المولى عز وجل:

٢- ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥؛ فالروح هنا جبريل.

٣ـ ويقول تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَٰئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ النبأ: ٣٨، فيعني ذلك أن الرّوح ستكون أحد الشهود على العبد يوم القيامة.

٤ـ ويقول جّل وعلا: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ المجادلة: ٢٢ أي أن التأييد بالروح يكون للعباد المؤمنين دون الآخرين.

ولقد قمنا بالاحتفاء باليوم الأربعين لوفاة موتانا، ظنا منا أن الأرواح تنزل إلى أفنية قبورها في ذلك اليوم، وتزيد آخرون: فتصوروا الأرواح تنزل كل يوم خميس وليلة الجمعة، وبالأعياد. على أفنية قبورها، لذلك فهم يشدّون الرّحال لزيارة القبور في تلك الأزمان والأوقات، وما ذلك إلا لتغليبهم لدور الروح على دور النفس في الكيان البشري، وهو عكس الحقيقة الواردة بكتاب الله عن النفس والروح.

مرحلة خروج النفس من الجسد

بعد أن علمنا بأن النفس هي التي تخرج من الجسد وينتج عن ذلك الموت للجسد، والوفاة للنفس، لكن يبقى سؤال: هل تخرج نفس

أن الله يجعل برزخا (حائلا) بين الأحياء والأموات، فلا يسمع هذا عن ذاك، ولا يشعر الأموات بالأحياء، وهو ما سنبينه بتلك الدراسة تحت عنوان (الموتى – الزمن – الشعور) صفحة ٥٩ من الكتاب. والله تعالى يقول: ﴿ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ ﴾ المؤمنون: ١٠٠.

فالذين يسلمون على الموتى بزعم أن الأموات يردون السلام أو يعرفون الزائرين لهم، فهؤلاء في وهم، ولماذا لا يعمل بصر الموتى أيضا؟، بل يمثل ذلك الاعتقاد نوعا من الوثنية في بعض الأحوال.

خامسا: ينقطع الجزاء بالموت إلا من ثلاث:

وإننا نقرأ قول المولى عز وجل: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠ ﴾ فاطر: ١٠ فذلك يعني أن الكلام الطيب يرتفع إلى الله فورا، لكن العمل الصالح يُرفع تدريجيا وبصفة مستمرة كلما أفاد الناس.

فمن أقام مسجدا، ومن أقام ملجأ للأيتام، ومن تبرع لفقير بصدقة، ومن ربّى أولاده فأحسن تربيتهم، ومن ترك علما ينتفع به، كل أولئك وغيرهم ممن تمنهجوا بالعمل الصالح، تصعد حسنات أعمالهم

حين يقومون بها، وكلما استفاد الناس والمجتمع منهـا، وهـو عمـل يجري ثوابه حتى بعد موت صاحبه، فإن كان الميت قد قصّر به عملـه فإنه يجد ثواب صدقته الجارية يدركه، أو علمه الذي ينتفع الناس بـه، يخرجه من دائرة المقصرين إلى دائرة الذين أنعم الله علـيهم وهكـذا، لذلك فالعمل الصالح يرتفع أثره رويدا رويدا كلما أفاد الناس.

وفي شأن توالي الحسنات، واستمرار مضـاعفة الثـواب، يقـول الله تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ الحديد:١٨.

ورسول الله ﷺ يقول فيما رواه مسلم بكتاب الوصـية حـديث رقم ١٦٣١:[إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا مـن صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له]، بما يعني أن الأجر يحتسب لصاحب العمل الصالح بعد موته، فكيـف يُعـذب بقبـره ولازالت أعماله تثمر، ولها فوائد للناس، وعلى أي أسس وبأي مقدار سيتنعم؟، وماذا سنفعل في حسنات صدقته الجارية أو علمه الذي ينتفع به الناس أو ولده الصالح الذي رباه فأحسن تربيته فهو يدعو له؟!.

وأصحاب البدع الذين فتنوا الناس، ومن سنُّوا سُنَنًا سيئة عمل الناس بها، فأضرّت العباد والبلاد. أولئك تُضاعف لهم الذُّنوب كلما عمل الناس ببدعهم، فكيف سيتم عقابهم وما زالت شرورهم مستفحلة فـي

الدنيا رغم موتهم؟، والله ــ تعالى ــ يقول: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ النحل: ٢٥، فانظر ــ رحمك الله ــ لتعبير (أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً)، إنه يعني أن الذنوب لا تكتمل إلا يوم القيامة، فهل سيتعذبون بالقبر على أشياء دون أخرى؟، وماذا يظن سدنة عذاب القبر قبل اكتمال الحساب؟، ألا يزالون مصرين على وجود العذاب المزعوم بالقبر؟.

ونعيم القبر المزعوم يجب أن يكون بقدر، فهل يكون نعيم القبر بلا حساب؟، هل يتساوى الجميع في النعيم؟، وسأضرب المثل برسول الله ﷺ، فإننا إن أحصينا عدد المسلمين الذين توفي عنهم رسول الله، لكان ذلك العدد هو حظه من الثواب الذي ستتم مكافأته عليه، لكن علينا إحصاء عدد المسلمين حتى قيام الساعة لأنهم ثمرة جهده وكفاحه، فلا شك أن جزاءه سيكون أعظم، وذلكم صعود العمل الصالح رويدا رويدا.

سادسا: سؤال الملكين:

وسؤال الملكين الذي تأول به المفسرون قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ إبراهيم: ٢٧، فتصوروا أنه سؤال الملكين بالقبر، فقاموا بإنشاء ازدواج في السؤال، سؤال بالقبر، وسؤال

يوم القيامة. ولست أدري ما فائدة سؤال ينتهي إلى عذاب مُحتَّم أو إلى نعيم مُحتَّم بالقبر. وفق تصوُّر أصحاب الأوهام والعذاب؟.

إن سيدنا عزير لم يُسأل في قبره وقد مات مائة سنة ثم بعثه الله ليكون للناس آية، فهل هو آية منقوصة؟، إن عدم سؤاله في قبره يضع الروايات الخاصة بوجود زمن وسؤال وجواب في القبر بمأزق شديد،(راجع تخريج ذلك الحديث بنهايات الكتاب ص١٣٥&١٣٦).

وهل تصور أصحاب مفهوم السؤال بالقبر أن إجابة الميت الذي فقد الحياة ستُغيِّر من عمله الأسود أو الأبيض شيئا!!، هل يُمكن للفاسق أن يجيب إجابة صحيحة؟، وهل إذا أجاب إجابة صحيحة فسيتغير مصيره؟، وإذا لم يتغير مصيره فماذا يفيد السؤال؟، وهل تلك الروايات المبتدعة هي التي تُحفِّز الناس للإيمان بالله!؟.

أعتقد أن مسرحية الأسئلة الثلاثة (من ربك ؟ ما دينك ؟ من الرجل المبعوث فيكم؟) كانت تنطلي على أبناء الأمس لكنها لا تلقي بقناعة عقول أهل اليوم، وأن الأحاديث المنسوجة بشريا ومنسوبة زورا للنبي في هذا الأمر ليست إلا تزويرا سيحاسب أصحابه بجريمة الكذب على الله ورسوله ﷺ، ولابد أن الأمر عُرض على البخاري ومسلم فلم يجيزاه.

وعبارة حساب الملكين المشهورة على ألسنة الناس لا وجود لها في أرض الواقع، وما إشاعة الملكين وحسابهم – وفق قصصهم – إلا مجرد سؤال تقريري ليقرر كل ميت، [ربَّه – ودينه – ونبيه]، فأين الحساب في هذا، لكن دعاة عذاب القبر تمكنوا من إنشاء دين موازٍ لدين الله ينبثق من فقههم عن الدار الآخرة، وولعهم المسمى بعذاب القبر، وأصبح منهاجهم هو (التدين الشعبي)، فاستفحلت حكاية حساب الملكين التي لا سند لها من الواقع أو الشرع، وهو ما سيتم تبيانه.

وتبعا لخرافة السؤال بالقبر، فقد كان من الطبيعي أن ينشأ فقه التلقين للميت، وأبدع في التلقين أناس كلٌ يستعرض بضاعته المنبثقة من تقوى مزيفة لا تستند إلى علم صحيح ولا فكر قويم، وآخرون يستجلبون بالتلقين أموال المكلومين من أقارب الموتى، وما التلقين إلا محض خيال من أشخاص أراهم من المرضى نفسيا، وهم في أشد الحاجة لعلاج نفسي عاجل، ولقد فتنوا الناس، وأضلوا الأمة، وهم يقومون بإسماع الميت أمورا مضحكة، ويزعمون بأنه يسمع ويعي.

ولم يكتف أولئك المضرورون عصبيا وفكريا بذلك، بل تراهم يحملون الناس على الجلوس عند القبر بعد تمام الدفن، بزعم أن الميت يأتنس بهم ، أو قل حتى تأتنس بهم الجثة، ويقولون إن سبب ذلك الائتناس تخفيف هول سؤال الملكين للميت، ويزعمون تلك الحالة

المرضية أنها حديث قولي لرسول الله ﷺ، بل حددوا وقتًا للمكث، وهو قدر ما تُذبح الجزور (الجمل الصغير) ويوزع لحمها.

ثم حين ينصرفون يزعمون بسماع الميت لقرع نعالهم. أرأيت الإخراج المسرحي النابع من أمراض نفسية ويدع ألصقت بالدين وما هي منه في شيء!؟.

وبالمناسبة أذكر حديثًا ينسبونه للنبي حين كانت وفاة إبراهيم نجل الرسول، حيث مات طفلا رضيعا فأورد ابن حجر بكتاب الجنائز بالحديث رقم [١٣١٦] قوله: لما توفي إبراهيم زاد الإسماعيلي من طريق عمرو بن مرزوق عن شعبة بسنده، عن رسول الله ﷺ وله أيضا من طريق معاذ، عن شعبة بسنده عن النبي ﷺ حين توفي ابنه إبراهيم قوله: [إن له مُرضعًا في الجنة]، فهل يتصور أحد العقلاء أن الطفل الذي مات ولم يستكمل الرضاعة سيُعيِّن الله له مرضعة بالجنة لاستكمال نموه؟. فما بال من مات وهو مشلول هل سيُعيِّن الله له طبيبا بالجنة يداويه؟. وهل لذلك نجد من تصيح على ميت لها تقول: [يا ليتني مُتّ ونفسك في القرع يا حبيبي] عسى أن يعطيه الله قرعا في الجنة.

ومسألة الاعتماد على الحديث النبوي في الإيمانيات، عارضها كثير من العلماء نظرا لظنية ثبوت الحديث النبوي مهما كانت درجة صحته (سبق بيانه بالفصل الأول). ومع ذلك فقد استغل أصحاب

الدسائس كذبا لرسول الله، فجعلونا نستقي ديننا من الأحاديث وتوارى الاعتماد على تدبر القرءان رغم تيسير الله قراءته، وفرضية تدبره.

إن تثبيت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا يكون حال حياتهم، ويكون التثبيت بالقرءان، وليس بكتاب آخر سواه، وبالإيمان بلا إله إلا الله في الحياة الدنيا، وعناصر الإيمانيات بالحياة وردت بالكتاب والسُنّة على سبيل الحصر فلا يمكن إضافة ترهات إليها، ولا وجود لأسئلة الوهم المكذوبة التي ترويها أساطير الأولين، فالذين تصوروا التثبيت سؤالا موهوما بالقبر عليهم إعادة مراجعة كتاب الله دون أن يتأثروا بمروياتهم التي يظنونها أحاديث نبوية، فليس بالقبر سؤال ولا جواب، فضلا أن القبر من منازل الآخرة وليس من الحياة.(ورد تفنيد ذلك بالفصل الثاني ص ٤٣ وسيرد بالفصل الثالث تحت عنوان تفنيد حجج أنصار فكرة العذاب بالقبر بند حججهم من القرءان تحت رقم ٥ ص ٨٢ وما بعدها).

سابعا: البعث وتسليم الكُتُب...وسنتناول الأمر على وجهين:-

الوجه الأول: البعث

من بين ما كشفه القرءان من زيف عذاب القبر المزعوم، ما يؤكد عدم مرحلية القبر، وفي ذلك يقول ــ تعالى ــ عن البعث:

١ــ ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ السجدة: ١١

٢ــ ويقول تعالى: ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ۝١٩ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ۝٢٠ ﴾ ق: ١٩- ٢٠؛ أي من الموت إلى البعث فورا بلا مرحلية.

٣ــ وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٣٢ ﴾ النحل: ٣٢؛ فها هي الآية الثالثة تُقرر أنه من الوفاة إلى دار السلام مباشرة، فمن يمت تقم عليه وعلى كل الخلائق القيامة العامة فورا دون إبطاء، ودون فترة يمكث فيها بالقبر، وهو ما سيرد تفصيله تحت عنوان [الموتى، الزمن، الشعور]، فيمكن الرجوع إليه (راجع ص٥٩).

ومن دلائل عدم وجود عذاب بالقبر أنه حين البعث يحلف الكفار ويقسمون لله للدفاع عن موقفهم، أيتم ذلك القسم لأُناس تعذبوا! أم لمن لم يعاينوا أي عذاب؟، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ۝١٨ ﴾ المجادلة: ١٨.

ومن أدلة عدم وجود عذاب بالقبر، ما قصة الله علينا من نبأ الكافرين، حيث كانوا يُكذبون بالبعث وبوجود حياة أخرى بعد الموت، فلو كان النبي حدثهم عن وجود عذاب بالقبور لأنكروه أيضا، حيث

يقـــول تعـــالى: ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٤) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٥) ﴾ الدخان: ٣٤ – ٣٥.

وماذا يظن أصحاب فكرة عذاب القبر في البعث؟، هل هو فترة راحة بين عذاب القبر وعذاب الآخرة؟، وهل من مات منذ عشرة آلاف سنة سابقة على القيامة، أسوأ حظا ممن مات قبل القيامة بيوم أو حتى يومها؟، أيكون في ذلك أي نوع من العدالة؟. بل لقد اكتشف في عـام ١٩٩٤ هيكل عظمي لإنسان كان يمشي على الأرض قبل أربعة ملايين وأربعمائة ألف سنة وأسماه العلماء آردي. وكانوا قد اكتشفوا قبلها في عام ١٩٧٤ هيكلا عظميا أسموه لوسي، عمره ثلاثة ملايـين ونصـف مليون عام، فهل كان آردي ولوسي يتعذبان منذ ملايين السنين؟، أطرق هذا المثال الحقيقي للهياكل البشرية حتى يفيق المسلمون من النظريات الفكرية السطحية التي برعوا فيها.

الوجه الثاني: تسليم الكُتُب لأصحابها

ومن بين الضربات القاصمة التي يوجهها القرءان لأصـحاب فكرة عذاب القبر مسألة تسليم الكتب. حيث يشرح القرءان ويؤكد عدم سبق البعث بأي عذاب ولا نعيم بالقبر. ولا رؤية مقعد مـن الجنـة ولا من النار.

وتدبر في ذلك قول ربنا، وابحث عن سر الفرحة العارمة التي تصيب الذي تسلّمَ كتابه بيمينه، حيث كان يتصور أن الله مُعذِّبه، لكنه نجا بكثرة ما وجد بصحائفه من ثواب، لذلك فهو يقول: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ الحاقة: ١٩ – ٢٢. وفرحته العارمة بعد المفاجأة، تدل على أنه لم يتنعم في قبره، ولم يسبق أن رأى مقعده من الجنة ولا من النار، أم ترى لها تفسيرا آخر عند المضرورين نفسيا وعقليا؟...نسأل الله لهم الشفاء.

ومن أوتي كتابه بشماله يُصرح حين تسلّمَ كتابه بأنه لم يدرِ حسابه إلا يوم القيامة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحاقة: ٢٥ – ٢٧؛ إن مقالة يؤكد أنه لم يتعذب بقبره، ولم يعلم حسابه إلا يوم القيامة، ولم يسبق له أن رأى مقعده من النار بالقبر كما يزعمون، أم ترى الفوضى الفكرية يكون لها تفسير آخر وتختلس الطرق لتقويض صريح معاني القرءان واستبدالها عن طريق تأويلات بشرية لآيات ظنية الدلالة للوصول إلى معتقداتهم الشاذة.

وأصحاب الأعراف الذين قال عنهم أصحاب التفاسير إنهم الذين تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، ترى أيعذبهم الله في القبور أم ينعم عليهم؟، أما آن لنا أن ننظر للأمور بشمولية وموضوعية؟.

وبعد ذلك تكون مرحلة المجادلة، فكلٌ يُجادل دفاعًا عن نفسه، عسى أن يخرج إلى دائرة الأمان؛ وفي ذلك يقول جل وعلا: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ النحل: ١١١؛ فإذا كان قد رأى مقعده من النار كما يقول أصحاب مسرحية عذاب القبر ففيم يكون الجدال؟!.

ومن البدهي أن يفزع أناس لكون كل ما نقضته من فكرة تكلم الجنازة، وعذاب القبر، وغير ذلك من أعمال الدار الآخرة مذكورًا بكتاب صحيح البخاري وغيره من الصحاح على أنه أحاديث صحيحة لرسول الله، فكيف يتم تكذيب كتب الصحاح ونعتمد كتاب محام يشتغل بالقانون وليس له دراية المُحدِّثين وعلم فقهاء الموت والعذاب؟.

والإجابة عن ذلك التعجب يسيرة، إذ كيف جعل الله من البدو رعاة الأغنام والأجلاف صحابة وفقهاء؟، وهل توقفت رحمته في الهداية عند الصحابة والأئمة الأعلام؟، وأين المتعجب من قوله تعالى

بسورة البقرة: ﴿ ...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾؛ بما يعني أنك كلما اتقيت الله هداك.

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ يونس: ٩؛ فأين المعاهد الدينية وكتبها الأكاديمية من الهداية؟، إن الإيمان والتقوى هما أساس الهداية، وما المعاهد الدينية إلا عوامل مساعدة لمن أراد الهداية، وهذا هو سر هداية الصحابة ومن بعدهم ممن ساروا على نهج نبيهم، أعني بذلك أن الإخلاص في عبادة الله عمليا إنما هو أساس الهداية لمن أرادها، سواء أكان متخصصا أم لا، وسواء أكان يعرف القراءة والكتابة أم لا، وإلا فماذا يصنع المغول وغيرهم من المسلمين من غير العرب، وهم أضعاف عدد العرب المسلمين، أليسوا بمهتدين؟!، أرى أن علينا مراجعة الكثير من توجهاتنا لنتضبط وكتاب الله.

والهداية تكمن في كتاب الله الذي تركه الناس ورحلوا عنه إلى السنّة النبوية الصحيحة والسقيمة، التي لم يتعهد الله بحفظها، فقالوا بأن فقهاء السنّة حفظوها كأفضل ما يكون الحفظ، فهم في رياح تذهب بهم بعيدا عن كتاب الله حتى ضلوا السبيل، لأنهم تركوا كلمات الله إلى كلمات غير الله: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ

يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ الجاثية: ٦ ، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢.

ثامنا: الـيوم ويومـئذ:

إن القرءان حين يورد كلمة (اليوم) أو كلمة (يومئذ). فإنما يعني في غالب الأمر يوم القيامة، ولم يعن أبدا يـوم الوفـاة ولا يـوم النزول إلى القبر، والله ـ تعالى ـ يؤكد أن أجور الناس موكولة إلـى يوم القيامة وليس للقبر، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٨٥.

فهل يكذب أصحاب عـذاب القبـر معنـى ﴿ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾، فهم يتصورون حدوث ذلـك يـوم المـوت وليس يوم القيامة، وما يوم القيامة عندهم إلا مجرد استكمال لما بالقبر من نعيم أو عذاب، وأتعجب من عدم فهمهم لمعنى كلمة (وَإِنَّمَا)، إنهـا تفيد حصر الجزاء في يوم القيامة فقط.

إن الله يسّر القرءان للذاكرين. فلسـنا بحاجـة إلـى فهامـة من متخصصين. ولن نخاف تهديـداتهم أننـا سـندخل جهـنم إن لـم

توقف تفكيرنا ونعتمد عليهم، إنهم يقدمون لنا بضاعة البله حتى نكون وذرارينا من البلهاء، وأرى أنه تم لهم ما أرادوا فعلا إلا من نفر منا قليل.

إن الله ــ تعالى ــ يقول: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ البقرة: ٢٨١؛ أيختلف اليوم الذي توفى فيه كل نفس ما كسبت من شخص لآخر؟، فأنا اليوم، وأنت غدا، وهو بعد غد؟، بينما يقرر القرءان أنه يوم واحد، هو يوم القيامة (١٨٥ آل عمران)، أم أن زيف المتسننين وجمودهم الفكري، يطغى علينا وعلى القرءان وآياته؟؛ أم تراهم فشلوا في تبديل كلمات القرءان؛ فاستبدلوه بزيف في السنة.

ويقول جل شأنه: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ النور: ٢٤ – ٢٥. فماذا يقول المتسننون بلا سنة في قوله تعالى وتحديده ليوم القيامة لمسألة شهادة أعضاء الظالم عليه، وتوفية الناس أجورهم فيه؟ ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾؛ هل يحتاج الأمر لفهامة من المتخصصين أو من الملتحين؟.

وكيف سيتعذب الإنسان في قبره ولا يزال هناك تعليق للفصل بين الناس بعضهم البعض إلى يوم القيامة، فلربما تكون هناك للميت حقوق لم تُدرج له، وقد تكون عليه أوزار، ويؤكد القرءان أن ذلك الأمر يكون يوم القيامة وليس في يوم آخر، فيقول تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۝٦٩ ﴾ الحج: ٦٩، أم أن مليونيرات عذاب القبر سينكرون استخدام العقل من أجل سواد أحاديث كُتبت بمداد الإفساد والإفك؟.

ويؤكد القرءان أن مصير الناس مؤجل إلى يوم القيامة، فيقول تعالى: ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ ﴾ المرسلات:١٢ – ١٥، فهل مصير الناس مؤجل ليوم قبل القيامة عند أصحاب فكرة عذاب القبر ونعيمه؟، أم تراهم يكفرون بآيات كتاب الله لصالح موروثاتهم البشرية المزيفة!!، بينما الله الجليل يقول أيضا: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝٤٢ ﴾ إبراهيم: ٤٢، فما رأي سدنة عذاب القبر وأشياعهم في أن الله يؤخر الحساب إلى يوم القيامة تحديدا وليس يوما قبله كما يزعمون؟.

والناس سيختصم بعضهم البعض أمام الله يوم القيامة، فإذا تخيلنا عذاب القبر الموهوم أنه حقيقة واقعة، ففيم سيكون الاختصام أمام الله يوم القيامة؟، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ الزمر: ٣٠ - ٣١.

فالفصل بين الحق والباطل، وبين الصالحين في الجنة والظالمين في النار يكون يوم القيامة.

وقد عمرت سورة المرسلات بتكرار قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾، فالويل يكون فقط يوم القيامة، وهو المحدد بلفظ (يَوْمَئِذٍ).

ويقول تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ ﴾ الزلزلة: ٦ - ٨، فرؤية وتحديد المصير يكون يوم القيامة، فذلك معنى كلمة (يَوْمَئِذٍ) في غالب أمر ورودها.

ويقول سبحانه: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سبأ: ٤٢؛ فتذوق النار يكون بذلك اليوم، والتذوق أول أي أمر فيه إطعام أو تجرع، سواء

أكان إراديا أم إرغاميا، ويوم الدين هو اليوم الموعود للناس جميعا، سواء أكانوا من فئة المنعمين أم من المعذبين، حيث يقول تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الذاريات: ١٢ – ١٤؛ فلو كانوا سبق تعذيبهم ما قال لهم الله يوم القيامة: (هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ).

ومن أدلة فساد قولهم على أن الميت يعرض عليه عمله بقبره وأنه يطّلع على مقعده من الجنة أو النار، ما ذكرناه من تطاير الكتب وأثبتنا به عدم معرفة كل إنسان مصيره إلا بعد أن يلقى كتابه، لكن نضيف لهذه الأدلة العقلية أدلة من صريح آيات كتاب الله، حيث قرأت في كتاب الله أن العبد لا يعرف إحصاء ما عمله إلا بعد أن تُنشر الصحائف {الكتب} وذلك من قوله تعالى بسورة التكوير: ﴿ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾ التكوير: ١٠ – ١٤؛ ففي ذلك دليل دامغ على ترتيب الأحداث، وأن الموتى لا يعلمون حقيقة أمرهم إلا بعد أن يتسلموا الصحائف، وبعد حضور الجنة والنار.

وعلمت من سورة الانفطار أيضا أن علم الإنسان بعمله يكون بعد قيام الساعة وبعثرة القبور، وذلك من قوله تعالى: ﴿ إِذَا

السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ الانفطار: ١ - ٥، فلن يقف الإنسان على حساباته ومصيره قبل ذلك التوقيت، أي بعد القيامة العامة والبعث ونشر الصحف، فكيف بهم يقولون بأن الميت يعلم مقعده من الجنة أو النار حين موته وفي قبره؟، لا شك بأنه استنتاج في غير محله ويتصادم مباشرة مع كتاب الله.

فعيب على العقول والأمخاخ أن تنتقي من آيات الله ما تتأول به عذاب القبر الموهوم، بينما تترك صريح الآيات التي تقرر بأن يوم الفصل هو يوم الحساب وهو اليوم الموعود وليس يوما قبله.

أترك تلك التعليقات والأسئلة ليتفكر الناس جميعا، فعيب علينا أن نعلم الله ووجوده وعظمته بالعقل، ثم نتوقف عاجزين عن التفكر بذات العقل فيما يكون من دين الله، أو نطيع من يحرمون علينا استخدام العقل باعتبار أن عقولنا قاصرة، ولا يجب أن تكون معلوماتنا الدينية مجرد موروثات لجهد السابقين بلا عقل منا ولا تمحيص.

كما أنه لا يجوز لأحد مهما سولت له نفسه أنه عالم أو فقيه، أن يستقي علمه من آية أو آيتين أو ثلاث من كتاب الله يتأول منهم رأيا في أحد مسائل العقيدة أو الإيمانيات كعذاب القبر، بينما يترك باقي الآيات التي تؤدي إلى عكس ما توصل إليه، أو يتحدى آيات القرءان

بما يرويه له القدماء من أحاديث ينسبونها زورا لرسـول الله، ثـم لا يقف به الأمر عند هذا الهبوط بل يؤلف الكتب ويلقي المحاضرات بعلمه القاصر الذي جحد به آيات من كتاب الله، سواء أكان ذلك الجحد عـن سهو أو كسل أو تقليد للأقدمين بلا عقل أو تمحيص.

تاسعا: لماذا خَلَقَ الله اليوم الآخر:

ذكر الله ــ سبحانه وتعالى ــ كلمة (يوم القيامة) ستين مـرة في ستين آية من آيات الكتاب الكريم، وسنتناول هنـا بعـض الآيـات الواردة عن سبب خلق الله لذلك اليوم، وذلك فيما يلي:

١ــ يقول تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٤) ﴾ يونس: ٤.

٢ــ ويقول تعالى: ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) ﴾ يس: ٥٤.

٣ــ ويقول سبحانه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾ آل عمران: ١٨٥.

٤ـ ويقول ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الحج: ٦٩.

فأين العذاب قبله، إذا كان هو يوم الوفـاء بـالأجور، ويـوم الفصل، ويوم الحكم؟.

وهو يوم عام على الخلائق جميعا، وليس لكل من مات قيامته كما يدّعون في علومهم المُعقّدة، فهـم يقولـون بالقيامـة الخاصـة، والقيامة العامة، لزوم الإبداع لنيل الدرجات العلمية العليـا فـي الفـن المسرحي المُعقّد الذي لا انضباط له على شريعة ولا واقع.

عاشرا: المـوتى والـزمن والشعور:

والموتى لا زمن عندهم، فالزمن له أشواط متباينـة مـا بـين السكون اللحظي وهو بالقبر، ومنها ما يساوي ما نعلمـه مـن زمـن (اليوم ٢٤ ساعة)، ومنها ما يساوي ألف ضعف، ومنها مـا يسـاوي خمسين ألف ضعف، وعلى ذلك فمن يمت تقم عليـه القيامـة العامـة فورا، ليشعر حينها أنه كان بحالة رقود، ومهما مر عليه من زمن، فلن يشعر به، وفي ذلك يقول الله العظيم:

١. ﴿ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الحج: ٤٧.

٢. ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ ﴾ المعارج: ٤.

ودليل آخر أسوقه من كتاب الله، إن الحياة قد تسير بك بينما تتوقف عند آخرين. فقصة أهل الكهف المذكورة بالقرءان والتي تبين كيف أنهم قضوا فيه ٣٠٩ سنة، ولم تتغير أشكالهم. بينما تغيرت الحياة خارج الكهف، وتغير الملك، وتغيرت العُملات التي كانوا يتعاملون بها، ولم يكونوا ليستطيعوا العيش داخل المجتمع الجديد، فأماتهم الله.

ودليل آخر بالقرءان، وهو ما قصّه الله ﷻ علينا عن سيدنا عُزير الذي أماته هو وحماره مائة سنة، ثم بعثه ليريه كيف يسير الزمن بأشياء، ولا يسير على أشياء أخرى، فأراه الحمار وقد تحلل وصار رُفاتا، ثم أعاد الله تكوينه مرة أخرى وأحياه أمام عينيه، بينما الطعام الذي كان يحمله لم يتحلل بمرور مائة عام، فذلك دليل آخر على أن الأموات لا زمن عندهم، وأن الله ﷻ يُجري الزمن على من يشاء، ويُوقفه عن من يشاء، ويجعله أضعافا مضاعفة لمن يشاء.

ألا يسأل فقهاء العذاب أنفسهم، لماذا أورد الله سؤال (كم لبثتم) لأهل الكهف، وسأل سيدنا عزير (كم لبثت)، فكان الجواب في الحالتين (يوما أو بعض يوم)، أي تساوت المائة سنة التي قضاها النبي

في الموت، مع الثلاثمائة سنة التي قضاها أهل الكهف نيام، بما يدل على فقدان الشعور بالموت وبالنوم.

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) ﴾ البقرة: ٢٥٩. فما كان ليتبين ما حدث له إلا بعد بيان الله له، وما شعر بمرور مائة عام عليه وهو ميت.

وسيدنا عزير هذا آية للناس لقوله تعالى: (وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ). فهو آية لنا لنعتبر، ولقد بحثت سورة البقرة في الآيات (٢٥٨&٢٥٩&٢٦٠) عن البعث وإعادة الأحياء من الموت، وبدأت بقوله تعالى (ألم تر) فهو يسألنا جميعا أن نؤمن بما رآه سيدنا عزير من المتباينات الثلاثة (نفسه& الحمار& الطعام)، فقد وجد نفسه وقد مرت عليه مائة سنة وهو ميت كأنها يوم أو بعض يوم. كما أنه لم

تتغير ملامحه، ولم يتم الإنعام عليه في قبره، ولم يتم تعذيبه أيضا، ولم يذكر القرءان شيئا عن القبر الذي هو بين الحياة والبعث.

وانظر إلى قول الله وهو ينتقل بك من سكرات الموت إلى البعث مباشرة: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ﴾ ق: ١٩ - ٢٠؛ وعلى ذلك فإن من يموت ينقطع الزمن عنده، فهو من سكرة الموت إلى يوم القيامة مباشرة. وبمجرد أن يموت تقوم عليه القيامة الكبرى، فيبعثه الله مع باقي الخلائق للحساب، أعاننا الله من حسابه، وتجاوز عن زلاتنا...آمين.

والدليل على أن الموتى لا يعلمون شيئا مما يحدث على الأرض ولا يسمعون ما نقول ولا يشعرون بالوقت، يبرز في مثالين، الأول قول عيسى ﷺ لربه جل جلاله: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ المائدة: ١١٧.

ومن القرءان والسنّة النبوية ما يدل على أن النبي لا يعلم ما يفعله الناس بعده، وذلك لوجود البرزخ الحائل بين دار الدنيا والدار الآخرة. فبالقرءان قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ الأحقاف: ٩.

وبالسنّة النبوية، حيث روى الإمام أحمد بمسنده، عن فاطمة الزهراء: – سمعته ﷺ يقول: { أيها الناس بينما أنا على الحوض جيء بكم زُمرا، فتفرقت بكم الطرق، فناديتكم ألا هلموا إلى الطريق، فناداني مناد من بعدي، فقال: إنهم قد بدلوا بعدك فقلت: ألا سحقا ألا سحقا }، ألا تدل تلك الرواية على عدم معرفته ﷺ الأحداث بعد موته؟!.

وبعد أن ذكرت لكم بالآية والحديث ما يدل على عدم معرفة النبي بما يحدث بعده، وعدم معرفته الغيب، إلا في حدود ما أطلعه الله عليه بالقرءان، نجد أصحاب البدع المزورة يقولون بأن النبي يعلم شكل عذاب أهل القبور، ويعلم بالجرائم التي ارتكبوها، وذلك من قولهم بالحديث: [إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، بلى إنه لكبير، فأما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة]، ثم وضع على قبرهما عودا أخضر بعد أن شقه نصفين، ونسبوا إليه القول إنه يخفف عنهما ما لم ييبسا، رغم أن رواة الأحاديث زعموا عنه القول: [إن الموتى يعذبون في قبورهم عذابا تسمعه البهائم]، وأن ذلك العذاب لا يسمعه الإنس والجان [راجع فساد تلك الروايات بآخر الكتاب].

أفهمَ يسبُّون النبي ﷺ بتلك الأحاديث أم أنهم لا يفهمون ما يقصونه على الناس، أم سيقولون بالخصوصية للنبي حتى يبرروا فقههم الذي لا سند سماوي له؟، بينما ينافسون به كتاب الله.

وعلى ذلك فتعبير (حياة البرزخ) تعبير خاطئ، لأنه لا حياة بالبرزخ، إنما هو فاصل بين الحياة ومستودع الموتى الذي يسميه العامة بالبرزخ، وهو لا زمن فيه، وتقوم القيامة العامة على كل من فيه دفعة واحدة بمجرد موتك أنت، وقد تكون من الأحياء (يَوْمَئِذٍ).

حادي عشر: النَّفْس والإدراك:

وليعلم المسلم أن وجود النَّفْس هو سبب سماعنا الأصوات ورؤيتنا للأشياء وإدراك المحسوسات. فالنَّفْس هي مُحرك الحياة بالكيان البشري، وبغيرها لا نسمع ولا نرى ولا نفقه ولا نحس، لذلك فإن من سمات يوم القيامة أن تُزوّج النفوس بالأجساد، وذلك من قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ ﴾ التكوير: ٧، فالبعث يعني إعادة النفوس للهيكل البشري لتعي، لذلك فإن الله تعالى يقول: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٢٣ ﴾ الملك: ٢٣.

وهم يتصورون أن الميت يتأذى بجاره المدفون معه بذات القبر إذا ما كان ذلك الأخير من العصاة، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ۝١٩٣ ﴾ آل عمران: ١٩٣، فهم يتصورون قوله تعالى: (وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ) تعني وادفنا مع الأبرار، بما

يعني تأذي الميت بجار السوء، وسعادته بجار الهناء، وهو الأمر المخالف لمرمى الآية، وبما يعني الزعم بإدراك المقبورين من الموتى.

وتفنيد ذلك بأن الآية دعاء من الذين آمنوا أن يغفر لهم ويحشرهم يوم القيامة مع الأبرار، فذلكم هو معنى (وتوفنا)، وليس أيضا معناه (أمتنا)، فقول عيسى: ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) ﴾ المائدة: ١١٧؛ فلما جعلت بيني وبينهم حاجز الموت، وفي ذلك يقول فضيلة الشيخ/محمد متولي الشعراوي في خواطره: [أي اختم لنا سبحانك هذا الختام مع الأبرار].

وترمي أيضا كلمة (وتوفنا) لمعنى المحاسبة، أي وحاسبنا حساب الأبرار الذين تتجاوز عن سيئاتهم وتجزيهم بأحسن ما عملوا، وذلك لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) ﴾ النور: ٣٩؛ لكنها ليست ذات علاقة بالقبر ولا الإدراك فيه أبدا، بما يدل على فساد ما يرمي إليه التأويل الآخر وأهدابه واستنتاجاته، فلا إدراك بالقبر.

ثاني عشر: العذاب وأنواعه وطبيعته:

والله يذيق أهل السعير العذاب بالإحساس الفعلي المادي، لذلك فهو بعد أن يُزوّج أجسادهم مع نفوسهم ويدخلهم النار، فإنه كلما نضجت جلودهم بدلها بجلود جديدة، ليذوقوا الإحساس بحرارة جهنم، بما يعني ضرورة توافر الموصلات العصبية بين الجلد والمخ لإدراك العذاب، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ النساء: ٥٦؛ فمن غير هذا التبديل لن يكون هناك إحساس، وهو أمر غير متوفر للموتى في قبورهم.

ودليل آخر على أن العذاب يكون ماديا، وهو قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ الحج: ١٩ – ٢٢.

نعم إن هناك عذابين، أحدهما في الحياة الدنيا، وهو عذاب الخزي، والثاني – وهو الأشق – بالآخرة. لكن ليس من بينهما عذاب

القبر المزعوم، وذلك من قوله تعالى: ﴿ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ الرعد ٣٤.

ويقول تعالى عن عذاب الدنيا: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ فصلت: ١٦؛ فالعذاب ماديا، ويصاحبه خزي ويكون حال الحياة؛ لقوله تعالى: ﴿ .... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ البقرة: ٨٥؛ فالعذاب الدنيوي يقع على الأحياء، ومن بينه الخزي للكافرين، والمعيشة الضنك لمن أعرض عن ذكر الله.

أما من يتصورون عذاب القبر معنويا فقط فهم في أوهام من السطحية، لأن العذاب المعنوي يحتاج أيضا إلى إدراك. فكيف بالجسد وقد انسلخت منه النفس، وأصبح جثة بلا حراك. فإنك إن غمسته بالماء فلن يشعر بغمر الماء، وإن ضغط عليه بالقبر فلن يشعر، وإن تركته في غرفة فسيحة فلن يسعد. فكيف بهم يقولون بأن الجسد يدرك العذاب المعنوي المزعوم؟. ولاحظ أنهم أحيانا يقولون بأنه مادي.

بل هم يناقضون أنفسهم في معنوية العذاب، إذ إن تفصيلات المرزبات والثعبان الشجاع الأقرع وفتح الطاقات إلى النار ليأتيه من سمومها وحياتها وعقاربها بالقبر، كل ذلك عذاب مادي تم تفنيده، فضلا عن عدم وجود آليات الإدراك التي ستعود لتلك الجثث يوم القيامة، لتذوق العذاب، أو لتشعر بالنعيم.

وحيث إن العذاب الإلهي مادي سواء أكان عذابا بالدنيا أو بالآخرة، وحيث إن المادة (الجسد) معدومة بقانون الفناء المادي بالموت، فإن العذاب بالقبر غير موجود لعدم تزاوج الأنفس بالأجساد، فلن يتم الإحساس، وهذا الأمر (إحساس الموتى) هو الذي جعل الأزهريين يقفون حائلا أمام قانون تغيير الأعضاء، لذلك تجد الأحياء من يبيعون أعضاءهم.

ثالث عشر: الكذب حتى بالقيامة:

إن السؤال ووزن الأعمال ومجادلة كل نفس عن نفسها، وقيام الشهود على العبد بواجباتهم، كل ذلك من آليات يوم القيامة، وتلك الآلية إن سبقناها بعذاب القبر الموهوم لكانت كل أعمال الآخرة تمثيلية هابطة معلومة نتائجها سلفا، بل كذب الناس يوم القيامة عسى أن يتخلصوا من عذاب الله ليؤكد في جلاء عدم وجود عذاب قبر، وسأسرد الأدلة القرءانية عن كل ما ذكرت فيما يلي:

١ـ ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ النحل: ٢٨.

٢ـ ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢) ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣) انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) ﴾ الأنعام: ٢٢ - ٢٤.

٣ـ ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥) ﴾ يس: ٦٥.

٤ـ ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ النور: ٢٤.

رابع عشر: الميزان والوجوه البيضاء:

وزن الأعمال من بين أعمال الآخرة، حيث يقول تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ الأنبياء: ٤٧؛ فما فائدة ذلك الميزان طالما تحدد مصير العبد بالقبر؟!.

وميزان يوم القيامة يكون بعد حصر أعمال كل إنسان وتدوينها بكتب يتسلمها أهل موقف البعث، إما بأيمانهم أو بشمائلهم أو من وراء ظهورهم. ويتميز ميزان القيامة بأنه ميزان قسط لا مجاملة فيه لأحد،

وصنجه من لدن قواعد أسسها الرحمن، فالحسنة فيه بعشر أمثالها، والله يضاعف لمن يشاء، والسيئة فيه بمثقال واحد.

وبعد انتهاء كافة أعمال الحساب وبعد الميزان تبيض وجوه وتسود أخرى، وهو أمر يدل على بزوغ فجر حقائق كانت غائبة حتى عن أصحابها، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) ﴾ آل عمران: ١٠٦ – ١٠٧، ويقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) ﴾ الزمر: ٦٠.

وعلى ذلك يتحدد فريق النعيم باللون الأبيض، وفريق الجحيم باللون الأسود، وذلك إيذان ببدء الدخول في مرحلة تنفيذ الجزاء الذي لا توجد مرحلة قبله، إلا الإفك والضلال المسمى عذاب القبر المزعوم.

خامس عشر: الصراط المستقيم

الصراط جسر على جهنم يُطلب من الخلق عبوره، فأي فائدة للصراط المستقيم في الآخرة إذا كان الناس سيتعذبون عذابا ماديا في قبورهم قبل عبور ذلك الصراط، وأول العذاب المادي بزعمهم أن يضغط القبر على الجثة ضغطة تختلف فيها أضلاعه، وغير ذلك من صراخ.

فمما رواه البخاري في صحيحه باب { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة } بالحديث رقم [٧٠٠٠] عن أبي هريرة: [أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال ......ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها......]، فسوف نضرب المثل فيما يلي:ـ

فيا ترى ما حال رجل كان يتعذب في قبره أربعين ألف سنة مثلا؟، كيف سيكون حاله وهو يعبر الصراط المستقيم وتحته جهنم لا شك أنه سيهوي من الرعب الذي عاين نماذج منه طوال تلك الأحقاب بالقبر، فما فائدة ذلك الصراط طالما دخول جهنم أمر محتم؟.

والناس جميعا ستعبر على ذلك الصراط المضروب على جهنم، ولن يستطيع أحدا أن ينقذ نفسه، إلا إن أنقذه الله من هول ذلك الصراط. وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ مريم.

فعلام كل هذه الإجراءات طالما تم العذاب قبلها، وسيتم بعدها؟، وذلك فائدة أن تقول بإخلاص وتضرع (اهدنا الصراط المستقيم) حتى يهديك الله ويحبب إليك الإيمان ويزينه في قلبك في الدنيا فتستقيم سلوكياتك على منهاج الله، فيكون في ذلك نجاتك على الصراط يوم

القيامة. فالصراط المستقيم ليس تمثيلية، إنما عذاب القبر هو التمثيلية الهابطة التي قام بتأليفها بشر الله أعلم بهم.

وبعد فقد ذكرت لك خمسة عشر بندا، وبكل بند أكثر من دليل على عدم وجود عذاب بالقبر، بل دللت بعدم وجود زمن بالقبر أصلا، وعدم معرفة الموتى ولا رؤيتهم لمقعد النار أو الجنة، فهل سنجحد مئات الأدلة التي لا تحتاج إلا قراءة واعية، لأجل ما ذمه الله فينا حين نقول: (هذا ما ألفينا عليه آباءنا)، لذلك فإن لي أن أذكر أهلي والناس أجمعين بقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ﴾ الجاثية: ٦ - ٨.

ولا يظنن غِرٌ مفتون ببضاعته القديمة أن تلك الآيات السابقة نزلت في الكافرين، فإن تلك مصيبة أخرى أن نتصور بأن هناك آيات تحكم حياتنا وآيات تحكم حياتهم، وآيات تم تجميدها وتعطيل فعاليتها باسم الناسخ والمنسوخ داخل كتاب الله، وآيات لمناسبات خاصة، وآيات نسختها أحاديث مفتراة... وغير ذلك من علوم الإفك؛ وهكذا نحطم منهجية القرءان بعد أن عجز الشيطان عن تحريفه، فكل ذلك من بعض الفكر القديم الواجب علينا تصويبه.

الفصل الثالث

تفنيد حُجج أنصار فكرة العذاب بالقبر

في يوم الأحد الموافق الأول من نوفمبر لعام ٢٠٠٩ ميلادي، دعتني قناة المحور الفضائية لبرنامج يدعى (ضرب نار) وكان معي الأستاذ الدكتور/أحمد عبد الرحيم السايح (مقدم هذا الكتاب)، وفي مواجهتنا اثنان من المتخصصين بالعذاب. وكان موضوع الحلقة (عذاب القبر حقيقة أم خيال؟)، ومن البدهي أن شرحت وجهة نظري وسط ركام من الصراخ والبكاء على السُّنة النبوية المهدرة، ولم ينس أحد قطبي الخصومة أن ينعتني والدكتور/أحمد السايح بأننا قرءانيان، وكم بكيت بعدها على حال الكثير من المتخصصين، حيث تمت مداخلات من أساتذة صنعتهم مناهج ضالة، تؤكد وجود ذلك الوهم، رغم إبرازي للدليل تلو الدليل. ولقد انتهت الحلقة بأن اقتنع كل من بالاستديو، وكثير من المشاهدين – بعد الإذاعة – بعدم وجود ذلك العذاب الموهوم، وما زلت أهيب بالإعلام المساهمة لإزالة غشاوة تلك الإفك عن الناس.

ولقد تأكد لي أن بعض المتخصصين قد انضموا إلى قافلة تحريف القرءان بإهماله، فمرة يضاهونه بالسُّنة ويغلبونها عليه، ومرة يقولون بأن فيه ناسخاً ومنسوخاً، فوضعوا بعلمهم – المسمى بالناسخ والمنسوخ بكتاب الله – كثيراً من آيات القرءان بثلاجة التجميد، فهذه آية تتلى فقط وزال حكمها، وتلك كانت قرءانا فانقرضت ولا تتلى لكن بقى حكمها (حديث الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة)، وآيات أخرى يتأولونها وفق مراد الحديث النبوي المدسوس، وبضع كلمات من آية يتخذونها سنداً لهدم كتاب الله، مثل ما يتأولونه من قوله تعالى

بالقرءان في جزء من آية: (وما آتاكم الرسول فخذوه)، بينما ينكرون على الآخرين قولهم (لا تقربوا الصلاة) رغم أنها جزء من آية أيضا. فهم يطوعون النصوص القرءانية لهواهم في الروايات المدسوسة على النبي، ولا يطرف لهم جفن. فقد أمدهم الشيطان بمدد من عنده.

وخرافات عن الموتى وقدراتهم الخارقة بعد الوفاة بعلة أن بصرهم أصبح حديدا بمجرد الوفاة، مع عدم إمكانهم التفرقة في المعنى بين الرؤية والنظر والبصر، والزعم بأن الموتى يسمعون ويبصرون أفضل منا، وعدم قدرة أولئك المتخصصين تصور اختلاف مرور الزمن بين الأحياء وأهل القبور من الموتى، وقذف وسط الكلام بالكفر والفسق وخلافه، فحزنت أشد الحزن على أولئك العلماء، سواء في كيانهم العلمي، أو كيانهم الثقافي، فضلا عن العقلي، وأسفت على حال الدعوة وهي بأيدي هؤلاء، لكن كلي أمل أن أساهم في تصويب أفكارهم.

وسوف أتناول في هذا الفصل تبريراتهم وتأويلاتهم الفاسدة عن القبر، وما يعتبرونه حجة لهم فيما يلي:—

أولا: حججهم من القرءان:

يحتج أنصار فكرة عذاب القبر بتأويلات عن فهم محدود لهم لبعض آيات معدودة من القرءان، وأحاديث ما أنزل الله بها من سلطان، فهم علاوة على فقدانهم لأي نص قرءاني قطعي الدلالة في ذلك الأمر

[راجع معنى اصطلاح (قطعي الدلالة) بالفصل الأول]، فهم يتأولون النصوص القرءانية ويلوون أعناقها ليا، لتتوائم مع ثقافتهم الروائية المدخولة على الحديث النبوي، وسنستعرض أدلتهم بالتمحيص فيما يلي:ـ

١ــ فهم يحتجون بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ غافر:٤٦؛ لكن تأويلهم مردود عليهم بأن أمر العرض على النار يخص آل فرعون فقط، فكما كانوا متفردين في الكفر، كان لهم تفرد مخصوص بعد الموت، وهذه الآية تحكي مصير كافرين فكيف نسحبها على كل المسلمين، وتلك الآية من الآيات قطعية الثبوت لكنها ظنية الدلالة، فلا يمكن استخراج أحكام منها، ليتم تعميمها كحقيقة إيمانية لا تقبل الجدل حولها.

أ ــ فآل فرعون يُعرضون على النار، ولا تُعرض النار عليهم، ولا تنزل لهم في قبورهم، ويكون ذلك على فترتين فقط من مثل فترات الدنيا {الغدو والعشي}، ولعل المعنى ينصرف إلى دوام العذاب، لكن لا ينطبق الأمر على البشرية عموما، ولا على المسلمين خصوصا لأن الأمر يخص الكافرين من آل فرعون فقط، وعذابهم معنوي وليس ماديا، وذلك لأنهم يُعرضون على النار، ولا يدخلونها، ومدة ذلك العرض هي مدة مكوثهم بالقبر، وهي لحظة أو مجرد لحظات، كما ذكرنا ص ٥٩ تحت عنوان (الموتى/الزمن/ الشعور).

ب ــ بينما يجد الباحث أن عذاب المعذبين بالدنيا حال الحياة مادي، فمنهم من أُغرق، ومنهم من خُسف به الأرض، ومنهم من ابتلي بالضفادع والدم في مياه الشرب، وهكذا.

ج ــ وبالآخرة أيضا يكون العذاب ماديا بالإحراق، وبمقامع من حديد، والذين يزعمون عذاب القبر يصورونه ماديا، فجعلوا لكل ذنب عقابًا، فمنهم من ترضخ الملائكة رأسه بالأحجار، ومنهم من يضغط عليهم القبر حتى تختلف أضلاعهم فيه، وهم جميعا يصرخون صراخا تسمعه البهائم وهكذا، فأصحاب ذلك السيناريو المسرحي لا يتفقون مع الآية التي تُبين أن العذاب معنوي، لأنه مجرد عرض على النار لفترتين يوميا، فهم بذلك خالفوا النص الذي يحتجون به.

وبذلك تكون الآية تصور شأن مخصوص لأناس بأعينهم، فلا ينطبق الأمر على البشرية كلها، لأن الأصل في عذاب الله في الدنيا أو الآخرة يكون ماديا وليس معنويا، ولم يكن الله ليترك الأمر للمتأولين.

د ــ ودليلنا أنه عذاب خاص ولا ينطبق على البشرية جمعاء أن الله سبحانه أجرى التحلل على مخلوق (حمار سيدنا عزير)، ومنع آخر من التحلل (طعام سيدنا عُزير)، ودليل آخر هو عدم رؤية سيدنا عُزير لعذاب أو نعيم بقبره طوال مائة سنة مرت عليه وهو ميت، ودليل ثالث وهو منعة الذين قتلوا في سبيل الله من دون الناس جميعا.

هـ - ووجه آخر من وجوه تفنيد دلالة الآية، أن الله يقول عن آل فرعون في آية أخرى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾ آل عمران: ١١: فقوله: (فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ) فعل ماض، لكنه سيحدث في الحقيقة بالمستقبل حين تقوم الساعة، مما يعني أن للقرءان تعبيراته الموحية بالفزع حين يذكر مصير الكافرين.

وعلى ذلك فتعميم مصيرهم وتعميم العذاب وتصويره ماديا على كل البشر أحيانا، بينما تراهم يرددون مرة أخرى يقولون بأن عذاب القبر معنوي، وأنه مجرد عرض مقعد النار أو الجنة على الميت، فإن ذلك لا يُعبر عن النص القرءاني قدر ما يَعبر عن خيال وتخبط فقهي.

و - ولابد أن نعلم أن هناك استثناءات، فكما استثنى الله الذين قُتلوا في سبيل الله بالنعيم والحياة بشكل مُعيَّن، فقال عنهم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠، فقد استثنى آل فرعون بعذاب غير باقي الناس، وهو العرض على النار فترتين يوميا

من مثل أيامنا. لكن حكم عموم الناس مدون بعموم القرءان، أما الفلتات المستثناة فلا يُقاس عليها.

٢ـ كما أنهم يحتجون بوجود عذاب قبر حين يفسِّرون قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾ السجدة:٢١، وكلمات العذاب الأدنى والعذاب الأكبر المذكورة بالآية لا تعني أن عذاب القبر هو العذاب الأدنى وعذاب الآخرة هو الأكبر، بل تعني أن الله يرسل العذاب في الدنيا حال الحياة قبل أن يتعذب الناس في الآخرة، لعل الناس يرجعون عما هم فيه، لذلك ذكرت كلمة {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} بنهاية الآية. فإن الأمر إن كان يعني الموت ما كان لكلمة {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} معنى، لأنه لا أحد يموت ثم يرجع، وهي آية تدل على مراقبة الله للعباد، ودفعهم لإصلاح أنفسهم، وليس بها ما يدل على عذاب قبر.

٣ـ ويزعمون القول بعذاب القبر وهم يفسرون قول الله عن الكافرين: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ نوح: ٢٥، فقالوا إنهم بمجرد الموت دخلوا النار فيكون ذلك في القبر، وما أرى ذلك إلا من تعطل فهم حقيقة الزمن بعد الموت، وعدم فهم القرءان. فالميت بمجرد أن يموت يجد القيامة العامة فورا، وما

ذلك إلا لتوقف الزمن عند الموتى، وعلى ذلك فهو يدخل الجنة أو النار فورا، وفق إيمانه وعمله، فذاكم تفسير كلمة (فَأُدْخِلُوا نَارًا) عموما.

هذا فضلا عن أن القرءان الكريم له أسلوبه في عرض الأمور، فهو يتكلم عن دخول الجنة ودخول النار كفعل ماض رغم أنه لم يحن بعد، لكن لأنه حتمي فإنه يذكره كفعل ماض ليؤكد حتمية حدوثه، وحتمية قدر الله فيه.

فكذلك حرف الفاء الذي يصاحب كلمة (فأدخلوا) إنما ليؤكد أن الساعة قريب، وأن الله سريع الحساب، وأن انعدام وجود الزمن بالقبر يعني أن كل من يموت يجد القيامة العامة تقوم عليه فورا، لأننا جميعا سنموت ولن يمر عليه ما مر علينا من أزمنة.

لكن من الشذوذ الفكري أن يستنبط من الآية حكم لم يرد بالقرءان إلا ما يخالفه، ولابد لاستخراج حكم من القرءان أن يدرك المرء كل ما جاء بالقرءان عن ذلك الأمر، فلا يصح أن نستقطع آية من كتاب الله لتخرج على الناس بحكم ورد ما يخالفه بالقرءان أيضا، فإن ذلك يصيب استنتاجك بالعوار.

وهناك من ذهب إلى أن كلمة (نارا) التي وردت بالآية لا تعني النار المعروفة لأنها نار مُجهلة وغير مُعرفة، وهي تعني أنهم بعد

إغراقهم دخلوا فوهة البركان الذي انفجر، حيث يقول تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ هود: ٤٠. فالتنور هو البركان، وقد كانت بلدة نوح على ساحل البحر، وحدث فيها مثل ما حدث لمدينة تسونامي. فلما انفجر البركان ثار البحر وأمطرت السماء، فالتقى الماء على أمر قد قُدِر، وقذفت الأمواج بجثثهم الغارقة إلى فوهة ذلك البركان الثائر، بينما نجا سيدنا نوح ومن آمنوا من الغرق بالطوفان وكذلك من الحرق بالبركان.

٤ـ ومن بين ما يحتجون به لإثبات عذاب القبر، تأويلهم لقوله تعالى: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ التكاثر: ١ – ٨؛ فتصوروا زيارة المقابر تعني عذاب القبر، وتصوروا الوعيد المذكور بعدها يعني عذاب قبر، وهو خيال لم يرد بالقرءان ولا حتى ظلال عنه.

فزيارة المقابر الواردة بالآية والوعيد بعدها يعني العذاب يوم القيامة بعد الموت، لأنهم ألهتهم الدنيا وزخارفها، لذلك فهم حين

يزورون القبور وينقطع عملهم بالموت، فإنهم سوف يعلمون ما يحيق بهم من عذاب الله يوم القيامة ولا تعني بحال عذاب القبر المزعوم.

فالمؤمنون حال حياتهم يوقنون بوجود الجحيم حق اليقين، لذلك فهم يلتزمون بتعاليم الدين، وهم الناجون يوم القيامة، أما الذين ألهاهم التكاثر ممن لا يؤمنون ويكذبون بحساب الآخرة فسوف يرون الجحيم عين اليقين، بعد أن يزوروا القبور، وتعبير الزيارة يعني أن القبر مجرد زيارة سريعة، يكون بعدها عذاب الجحيم، فأين حرف (الفاء) الذي أقام عليه المفسرون تفسيرهم لفورية العذاب بالقبر بآية قوم نوح؟، إنه هنا يقول (سوف تعلمون)، لا أرى تأويلاتهم إلا محض خيال بعد أن تأثرت تفسيراتهم بتلك الروايات المدسوسة على النبي.

٥ــ ومن بين ما يحتجون به قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ ابراهيم: ٢٧ ؛ فقالوا إنه تثبيت الله الموتى من المسلمين بالقول الثابت (الشهادتين) في قبورهم حين سؤال الملكين، وهذا القول مردود عليه بما يلي:ــ

أ ــ أن القبر ليس من ضمن الحياة الدنيا، لكنه من منازل الدار الآخرة، وكما أن للجسد قبرا بالتراب فإن للنفس قبرا عند الله، وبذلك فالآية لا تعني السؤال المزعوم بالقبر.

ب ـ أن التثبيت حال الحياة يكون بالقرءان الكـريم، فهو القول الثابت بالحياة الدنيا، وذلك مـن قـول الله سـبحانه: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الفرقان: ٣٢ .

ج ـ وقولـه جـل شـأنه: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ الإسراء: ٧٤.

د ـ ويقول تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل: ١٠٢.

د ـ وقوله سـبحانه وتعـالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ هود: ١٢٠.

فها هو التثبيت الذي قرره الله للذين آمنوا بالحياة الـدنيا: لا يكون إلا بالقرءان، ويكون حال الحياة أولا، فهو البشرى للمسلمين في الدنيا، فالمؤمن الذاكر يكون صاحب قلب مطمئن، وهو حـين المـوت يكون مطمئنا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً

مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ الفجر: ٢٧ - ٢٨؛ كما يثبت الله المؤمنين من الفزع الأكبر يوم تقوم الساعة، بلا إله إلا الله.

أما الرواية التي ذكرها الترمذي وغيره والتي تذكر زورا عن النبي أنه قال إن التثبيت يكون عند سؤال الملكين بالقبر، فهي ليست بشيء لتعارضها مع نصوص القرءان، والرواية التي ذكرها الإمام مسلم في صحيحه برقم: (٥١١٨) باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وذكر فيها التثبيت بالقول في القبر ففيها مدلس، (راجع التخريج من ص١٣٥).

ولقد ذكر الله كلمة (القبر) بالقرءان ثماني مرات، وذكر كلمة (عذاب) مائتين وخمس وستين مرة لم يقرن بينها وبين القبر أبدا.

٦- ويحتجون بقوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ التوبة: ١٠١ فيتصورون قوله (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ) أن الأولى عذاب القبر والثانية عذاب الآخرة.

ولست أدري لماذا لم يدر بخلدهم قوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ السجدة:

٢١: وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الأنعام: ٤٢، فالبأساء عذاب، والضراء عذاب، ثم يردون إلى عذاب يوم القيامة، وكثير من مثل تلك الآيات التي تثبت أن بالدنيا أنواع من العذاب لإيقاظ للناس من غفلتهم، وذلك من رحمة الله، فضلا أن مرتين + عذاب الاخرة =٣، وهل عذاب القبر يحتسب بمرتين؟، فضلا أن تلك الآية (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ) قيلت في المنافقين، فلا يجوز قياسها على المسلمين، فبهذا نكون فسرنا القرءان بالقرءان، لكن قل في تحريف القرءان ما تشاء.

فالمسلم الموحد لا يستقي العقائد إلا من صريح آيات كتاب الله القطعية الدلالة، وهي في موضوعنا بالعشرات، أما من يتأولون بعض آيات معدودة من كتاب الله على أنها عذاب قبر لتأثرهم بالأحاديث القولية الأحادية، فهو فضلا عن الفساد المنهجي، فهو نبذ لآيات كتاب الله، وما كان الله ليضع العقائد تحت رحمة اجتهاد الفقهاء، أصابوا أو أخطئوا، أما الأحاديث القولية فمرحبا بها فيما عدا العقائد والحدود والتحريم ومخالفة كتاب الله.

ثانيا: مسرحية العذاب كما أُلصِقت بالسُنّة:

بالبداية لابد لي أن أنوه أن الإسلام قد قضى على الأصنام الحجرية فصنع الناس أصناما أخرى أطلقوا عليها ثوابت الأمة، ويا

ليت تلك الثوابت تتوافق مع ما جاء به محمد ﷺ، لكنك تجد من بينها صنما يدعونه أصح كتاب بعد كتاب الله فهم عليه يعكفون أكثر من تعبدهم بالقرءان، ولست أدري كيف يكون من ثوابتهم وأصح كتبهم ما عج بروايات المدلسين وأصحاب الأوهام وغيرهم (سيأتي تبيان ذلك بملحق تخريج الروايات المنسوبة زورا للنبي)، بل تجد أجلة الدعاة منهم لا يمايزون بين القرءان وبين الرواية عن النبي في القيمة والاستدلال، بل يقدمون الرواية على الآية في الاهتمام واليقين والعمل، وما أرى ذلك إلا إشراكا بالله، فهل من ثوابت الأمة أن يضاهي صحيح البخاري كتاب الله ويستكمل أحكام القرءان بأقانيم ما أنزل الله بها من سلطان؟، هل وصل بنا تعظيم روايات ذكرها واحد عن واحد لتطغى بها على حكم الله وآياته؟، فأي دين نحن عليه ما دامت حالنا كذلك؟!.

ولقد جمعت للقارئ قطوفا أثبت بها بعضا من زيف مدسوسات السنّة البشرية المزعومة وضعتها بنهاية الكتاب تحت عنوان: (بحث فقهي مع سرد وتخريج للأحاديث المزعومة عن القبر وعذابه ص١٠٧ وما بعدها) فيمكن الرجوع إليها.

فتراهم قد استغرقوا في مسرحية عذاب القبر، وابتدعوا لكل زيف رواية نسبوها بهتانا للنبي ﷺ، فقالوا بوجود ملكين يسألان العبد مجرد دخوله القبر عن ربه ودينه ونبيه، وتجد أئمة عذاب القبر يصرخون ويتحدون المعارضين بتلك الرواية العجيبة، بل ويلوون عنق

الآيـــة ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبــراهيم: ٢٧، ويفسرونها على أنها تخص سؤال الملكين المزعوم، رغم أنهم يقولون بأن القبر أول منازل الآخرة، بينما يقولون بأن التثبيت بالقول الثابـت في الدنيا يكون بالقبر، فهل القبر من الدنيا أم من الآخرة؟ وللأسف تجد التدين الشعبي يدين بالولاء لذلك الإفك (راجع تخريج حديث الملكين منكر ونكير ص ١٢٥ من الكتاب).

وقالوا بأن القبر يضغط على الميت حتى تختلف فيه أضــلاعه، أي تتحرك أضلاع قفصه الصدري لتكــون اليمنــى محــل اليُســرى، واليُسرى محل اليُمنى، بما يعني وجود إحساس للجثــة، فضــلا عــن زعمهم بإدراك الجثث وسماعهم لمن يلقي السلام عليهم، وقالوا بثعبان اسمه الشجاع الأقرع، يضرب الذين كانوا لا يُصلُّون، وقالوا بمرزبــات الحديد يضرب بها الملائكة أولئك الموتى فيتجلجلــون أسـفل سـافلين بالقبر، ثم يعودون من الأرض السابعة ليعود الملائكة علــيهم بعــذاب المرزبات مرة ثانية وثالثة وهكذا.

وقالوا بملك موكّل يرضخ رءوس الذين كانوا يتثاقلون عــن الصلاة المكتوبة (مجرد تثاقل فقط)، وقالوا بنساء مُعلَّقات من شعورهن وأُخريات من صُدُورهن لكشفهن تلك الصدور والشعور للأجانب، وقالوا

بصراخ أهل القبور يسمعه كل الخلائق إلا الإنس والجان، وقالوا بعذاب خاص للزناة والزواني ويستجير القبر من نتن ريحهم، وقالوا بتقطيع الملائكة لألسنة خطباء الفتنة.

ولم يكن هناك عذاب بالقبر عندهم للحاكم الظالم، ولا لقتلة أهل بيت النبوة، ولا لمزوري الانتخابات، ولا عذاب عندهم لأصحاب الأغذية المسرطنة، لذلك أرى كل ما سبق مسرحية تم كتابة سيناريوهاتها بشريا ممن هم دون الأنبياء، بعد عصر الخلفاء الراشدين، حتى يُفتن الناس، وأراهم قد فُتنوا فعلا، فلا تكاد ترى مسلما إلا يؤمن بذلك الوهم، وجعلوا منا مجموعة من المرضى نفسيا.

ولقد اهتموا بإفساد جزء من مناجاة العبد لربه في الصلاة بعد أن قالوا بالتعوذ من عذاب القبر بنهاية التشهد بكل صلاة، وقالوا إنه من السُنَّة، وقالوا بالتعوذ منه لكسوف الشمس، وبالتعوذ من عذاب القبر عموما، وما هي إلا سُنَّة الخيال، وتقديس لتراث الأموات بلا سند شرعي، إلا لأنهم من الأقدمين.

وقالوا بالميت الذي يؤذي من يجلس على قبره، وقالوا بفتح طاقة بالقبر للميت؛ ليأتيه من ريح النار وزمهريرها ونتن رائحتها. وقالوا بمخلوق يخرج على الميت في قبره يقول له: (أبشر بأسوأ يوم مر عليك منذ ولدتك أمك)، وأن الميت يصيح ويقول: (يا ربِّ لا تقم

الساعة)، الا ترى معي الإخراج المسرحي؟!!، وللعجب فكل ذلك لم يرد لا بالقرءان ولا بالبخاري ولا مسلم، لكنه التدين الشعبي الذي غرسه دعاة الإضلال باسم الإسلام.

ولست أدري لماذا لم يقل أحد الأنبياء بعذاب القبر في أي شريعة أو كتاب سماوي؟، وإن كانوا نسبوا زورًا لنبينا القول بأن اليهود تعذّب في قبورهم، وكأن العالم انحصر في اليهودية والإسلام ومشركي مكة فقط، فهل كان الموتى لا يعذبون في قبورهم حتى جاء الإسلام بذلك العذاب؟، أوتم لصق عذاب القبر بالإسلام لأن نبينا نبي الرحمة!!؟، أو ذلك يتبع منهج تخفيف الشرائع؟، أم التغليظ على الناس حتى ولو معنويا، وكيف يكون العذاب قبل الحساب؟.

وحين يضع أهل الملل الأخرى الزهور على القبور، بينما نضع نحن عليها نبات الصبار فهل يكون سبب ذلك علومنا الفتاكة عن عذاب القبر، ورحمة منا على ما اختص به موتانا من ضنك القبر وعذابه؟، وأين فقهاء العذاب من نعيم القبر؟، أم أن العذاب بالقبور غطى كل شيء حتى إننا لا ندعو به في صلاتنا، وكأنه شيء مزهود.

من بدع وغرائب الدُعاء للميت:

مما ينتهجه المدّعون بالسُنة من بدعهم المخلوطة والمنسوبة زورًا للنبي، مسألة الدعاء للميت، فالدعاء للموتى أمر محمود خاصة

من الأقارب والصالحين، لكن من غير المتصور أن تنقل عنهم الدعاء على الميت بحسبان أنه دعاء له، وبحسبان أنه من السُنَّة.

فمن مأثوراتهم في الدعاء: [اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نُزُلَهُ، ووسع مُدْخَلَهُ، واغسله بالماء والثلج والبَرَدْ، ونَقِّهِ من الذنوب كما يُنَقَّى الثوب الأبيض من الدنس]، وهذا الدعاء يقولونه حتى في صلاة الجنازة.

فهل من الممكن أن نغسل أحد الأحياء بالثلج إلا إن كنا نستهدف أذاه، فما بالنا بالدعاء بذلك للميت؟، وندعو أيضا بأن يغسله بالبرد، لا شك أننا نكرهه، إلا إن قال لنا علماء التبرير علما من علومهم الجهنمية التي تستحسن ذلك، وتنسبه للنبي ﷺ.

لقد رأيتهم في غُسل الميت يغسلونه بماء فاتر، لا هو ساخن ولا هو بارد، أفنفعل ذلك بينما ندعو الله ﷻ عليه بأن يغسله بالثلج البارد؟!، أم أن الدعاء مخصص لأهل البلاد الحارة فقط، أما أهل البلاد الباردة فنحن ندعو لهم بغسول ساخن!؟.

ودعاء آخر من الأدعية العجيبة التي سباقونا إليها بقولهم:[اللهم أبدله دارًا خيرًا من داره وأهلاً خيرًا من أهله وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار].

فهذا الدعاء به تضاد مع الدعاء بكتاب الله القائل: ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ غافر: ٨، أنستدعو بدعاء القرءان الذي لا استبدال فيه للصالحين والصالحات من أزواجنا، أم سندعو باستبدالهم مهما كان صلاحهم بأزواج خيرا منهم؟!، لأننا ذكورا وإناثا نحب التبديل!!.

لقد قبل الله الدعاء القرءاني، ولم يقبل دعاء السُنَّة المزورة، فادخل الزوجة الصالحة والزوج الصالح الجنة معًا، حيث قال سبحانه: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ الرعد: ٢٣، فألغى بذلك نظام الاستبدال الأهوج الذي يتراقص لشهوات أولئك الدعاة.

وكم أرى من قلّة حياء الداعين بهذا الدعاء لرجل أو امرأة قضيا نحبهما بينما الزوج الحي، أو الزوجة الحية، يسمع أو تسمع هذا الدعاء (أن يبدله الله زوجا خيرا منه أو منها)، ومطلوب من أيهما التأمين عليه، فهل في ذلك أي تعقل؟!.

ومن أدعيتهم التي يدّعون أنها من المأثورات قولهم: [اللهم اجعل قبره روضة من رياض الجنة، ولا تجعله حفرة من حفر النار].

فمن قال بأن القبر روضة، وهل تتنعم الجثث؟، وهل تتعذب الجثث في حفر؟، ولم يقل أحد من البشر غيرهم ولا كتاب سماوي بأن النار عبارة عن حفر، إن القرءان يقول بأن النار واسعة جداً، وذلك من قوله ﷻ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الكهف: ٢٩: فالقرءان يقرر بأن النار سرادق ضخم يضم كل المعذبين، ويرش عليهم ماء النار يشوي وجوههم، بينما الذين يتزعمون الفوضى في السنة النبوية المطهرة يقولون بأن النار عبارة عن حفر، فأي النهجين ننتهج؟!، أم نقف لننتظر علماء التبرير ليبرروا لنا سبيلا جديدا لخيبة أمل الأمة حتى في فن الذكر والدعاء.

والنار لها سبعة أبواب، فهل هناك سبعة أبواب لمجرد حفر؟: إن القرءان يقرر أن دخول النار يكون بالأفواج والأمم، وفي ذلك كله يقول تعالى:

﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ الحجر: ٤٣ – ٤٤.

﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) ﴾ الأعراف: ٣٨.

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ النمل: ٨٣.

إن السرد السابق يصوّر لكل ذي لُب أن النار وأفواج الداخلين فيها من الأمم ليست تلك الحفر الضيقة، إنما الخطب جلل والأمر أعظم.

نعم هناك أماكن ضيقة بالنار، لكنها أمر عارض، وفــي ذلــك يقول ربنا: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) ﴾ الفرقان: ١٣. لذلك ففقهاء الأحاديث لا يتبينون القرءان، فقوله تعالى بأول الآية (وإذا) تعني أنها حالة عارضة، والله هو الذي يعلم شــكل النــار، ولأنها من الغيب فالنبي يعلم بوجودها لكنه لا يعلم شكلها تحديدا إلا بما نزل عليه من قرءان، وعلى ذلك يكون فقه الحُفر في غير محله.

وأهدي لفقهاء العذاب الذين لا هم لهم إلا ترويع الناس من الله، أنه إذا ما كانت النار التي يتكلمون باسمها ذات أبواب سبعة، وبها أماكن ضيقة، فإن الجنة لها ثمانية أبواب، وعرضها كعرض السماوات والأرض، أي أنها تشمل سعة الكون المرئي وغير المرئي، وذلك لأن

رحمة الله أعظم من غضبه، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الحديد: ٢١.

صدق أو لا تصدق من أحاديث الصحيحين وفقه البعض

سبق وذكرت أن كثيرا من الدعاة يقولون بقصر أدمغتنا في أن نفهم القرءان أو ندرك الحديث، وإني أستشهد كل قارئ على نفسه أن يقرأ معي بعض أعاجيب الصحيحين (البخاري ومسلم) عن القبر وذلك مما يلي:ـ

ففي صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم [٢٧٧٣] حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب وأحمد بن عبدة الضبي واللفظ لابن أبي شيبة قال ابن عبدة أخبرنا وقال الآخران حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو أنه سمع جابرا يقول: أتى النبي ﷺ قبر عبد الله بن أبيّ، فأخرجه من قبره، فوضعه على ركبتيه، ونفث عليه من ريقه، وألبسه قميصه، فالله أعلم.

وبكتاب فضائل الصحابة حديث رقم [٢٤٠٠] حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، حدثنا عبيد الله عن نافع عن بن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أُبيّ بن سلول جاء ابنه عبد الله بن عبد الله

إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله فقال يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه، فقال رسول الله إنما خيرني الله فقال: { استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة }، وسأزيد على سبعين قال إنه منافق فصلى عليه رسول الله وأنزل الله عز وجل { ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره }.

وأيضا بذات الترقيم بذات صحيح مسلم [٢٤٠٠] وحدثناه محمد بن المثنى وعبيد الله بن سعيد قالا: حدثنا يحيى وهو القطان عن عبيد الله بهذا الإسناد في معنى حديث أبي أسامة وزاد قال فترك الصلاة عليهم.

أتصدق الرواية رقم [٢٧٧٣] التي تثبت عدم صلاة النبي على المنافق عبد الله بن أبي، أم تصدق الرواية رقم [٢٤٠٠] التي تثبت أنه صلى عليه؟، وكلاهما بصحيح مسلم.

وفي صحيح البخاري عن ذات الموضوع باب { استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم }، حديث رقم [٤٣٩٣] حدثنا عبيد بن إسماعيل عن أبي اسامة عن عبيد الله عن نافع عن بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: لما توفي

عبد الله جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ليصلي فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه فقال رسول الله ﷺ إنما خيرني الله فقال { استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة } وسأزيد على السبعين قال إنه منافق قال فصلى عليه رسول الله فأنزل الله { ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره }.

وبالحديث رقم [٤٣٩٤] حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل وقال غيره حدثني عقيل عن بن شهاب قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال لما مات عبد الله ابن أبي بن سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه فلما قام رسول الله وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي على بن أبي وقد قال يوما كذا وكذا وكذا قال: أعدد عليه قوله فتبسم رسول الله وقال أخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال إني خيرت فاخترت لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة { ولا تصل على أحد منهم مات أبدا } إلى قوله { وهم فاسقون } قال فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم.

بينما وفي باب { ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره } حديث رقم [٤٣٩٥] حدثني إبراهيم بن المنذر حدثنا أنس بن عياض عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه ثم قام يصلي عليه فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال تصلي عليه وهو منافق وقد نهاك الله أن تستغفر لهم قال إنما خيرني الله أو أخبرني فقال { استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم } فقال سأزيده على سبعين قال فصلى عليه رسول الله وصلينا معه، ثم أنزل الله بالقرءان: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ التوبة: ٨٤، بما يعني أن النبي قد صلى الجنازة على رأس النفاق بالمدينة.

فهل يقتنع القارئ – مهما كان عقله كبيرا أو صغيرا – أن يقوم رسول الله بإخراج جثة منافق أو صحابي، ليتفل فيه فيتبلل جسد الميت بريق رسول الله؟، وهل لا بد إذا ما أخرجه من قبره أن يضعه على ركبتيه الشريفتين ﷺ؟، وكيف يعطي النبي قميصه أو يلبس الميت قميصه بينما من السنّة أن يكون الكفن بلا قميص أو عمامة؟!. فهل ذلك المسلك المزعوم فعله لرسول الله من بين الأحكام التي يريد أهل السنن أن نتلاطم فيها، أم ماذا يريدون منا أن نفهم؟.

وكيف تكون الآية بسورة التوبة: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ ثم يقوم رسول الله ليصلي عليه الجنازة، ترى ماذا سيقول في صلاته؟، أكان يستغفر له؟، أم بماذا سيناجي ربه في تلك الصلاة، وكيف تنهى الآية عن الاستغفار بينما يوجه عمر بن الخطاب النبي لعدم الصلاة طالما أن المنهي عنه الاستغفار فقط!؟.

أرى أن علم أسباب النزول مشكوك في غالبه، وما روي من أحاديث يساندون بها تلك المصنوعات الروائية إنما هي إفك افتراه البعض على الله ورسوله.

ومن جماع أحاديث البخاري ومسلم عن أمر عبد الله بن أبي لا نعلم إن كان رسول الله صلى عليه الجنازة أم لم يصل، وبمناسبة موت رأس النفاق بالمدينة المنورة لماذا لم يتكلم النبي ﷺ شيئا أو يذكر عن عذاب القبر في شأن عبد الله بن أبي بن سلول؟، ألم يكن يمشي بين الناس بالنميمة كذاك الذي زعم به يتعذب في قبره لأنه كان يمشي بين الناس بالنميمة؟، وهل تم دفنه بمقبرة وحده أم دفن بالبقيع؟، أذكر ذلك لمن يزورون البقيع على أنه مدفن للصالحين، ويتمنون أن

يدفنوا بالبقيع ظنا منهم أن من جوار السعيد يسعد، وهل فكر أحد المتسننين بلا سنّة عما إذا كان الصالحون من الصحابة يتأذون من مجاورة المنافقين بمدفن واحد، وذلك وفق فقه من يتحرون أن يُدفنوا وسط الصالحين ويتصورون ذلك من الفقه.

وأرى أن ذكر مثل تلك الأحاديث دعوة للتحايل على أوامر الله، أكان رسول الله لا يعرف مرمى الآية القرءانية التي تنهى عن الاستغفار للمنافقين والمشركين؟، أو لم يكن يعلم معنى { إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم } أنها تعني مُطلق الكثرة؟. ومن الذي أعلم الفقهاء بعد ذلك بهذا المعنى؟ (أنها تعني مطلق كثرة الاستغفار مهما بلغ العدد)، لذلك فإن وضع تلك الروايات وأمثالها إنما يعبر عن فتنة لعقول العقلاء من المسلمين.

إن كثيرا من فقهاء المسلمين حينما يخالفون بعض ما جاء من روايات بالبخاري ومسلم، فإنهم يقومون بذلك دون أن يطرف لهم جفن، ويسوقون من أعاظم المبررات ما يسوقون، وإذا ما خالف أحد غيرهم أصغر صغيرة بتلك الكتب فإنهم يرجمونه بإنكار السنّة، وغيرها من أفاعيلهم وسبابهم المشهور.

ودعني أسوق لك المثل، فقد روى الشيخان البخاري ومسلم بصحيحيهما (مسلم ح رقم ٥٢٩ـــ٥٣٢ : والبخاري ح

رقم ١٢٦٥ &٣٢٦٧ & ٤١٧٧ وغيرهما كثير) ما يفيد تحذير النبي للمسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد. ونهى عن تجصيصها ووضع صورهم عليها. وغير ذلك، لكن لأن تلك الأضرحة تستجلب الفرج المادي الدنيوي لبعض المُلتصقين بها فقد باركها بعض أساطين الفقهاء، وجعلوا للنذور الممنوحة لها حصصا قانونية للبعض يقتسمونها رغم أنف ما جاء بالصحيحين، وقالوا تبريرا لأفعالهم أن نهي النبي في ذلك الشأن نهي تنزيه، وليس نهي تحريم، فهنيئا مرينا لمن حذا حذوهم واغترف بغرفتهم، واستمتع بفقههم.

ومما يؤسف له أن الشيطان حين يئس وأعوانه أن يدس بالقرءان مدسوساته، لجأ إلى السُنّة لينفث فيها سمومه، يفسد بها العقائد، ثم دعا الناس لتعظيم السُنّة، لذلك تجد ثقافة الناس وقد اهتمت بالسُنّة على حساب القرءان، وتصوروا في النبي مُشرّعا، فهم يخالفون بذلك القرءان، بل ويعمدون إلى مثل فعل الكافرين، وفي ذلك كله يقول جل جلاله: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠٣، فتراهم يقولون برجم الزناة المحصنين، وبقتل تاركي الصلاة عمدا، وبعذاب القبر، وغير ذلك من السنن المفتراة، تماما كما فعل

اليهود حين اهتموا بالتلمود (كتاب الأحاديث عندهم) على حساب التوراة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وما كان الله ليضع شيء يجب الإيمان به في يد الرواة والمفسرين ولا يوضحها إلا على أيديهم، ولي أن أتساءل ما حال المسلمين بقارة آسيا وهم أضعاف عدد العرب، كيف سيكون إيمانهم وليس لديهم تفاسير مفسرينا وكتابات الرواة؟، فليس عندهم إلا القرءان، بينما نحن ننادي باستكمال القرءان بالسُنّة، بما يعني احتياج الأصل للفرع، واحتياج الكل للجزء، واحتياج المحفوظ بحفظ الله لغيره ممن هو دونه، بل هناك من تطاول وقال بأن القرءان يحتاج للسُنّة أكثر من احتياج السُنّة للقرءان، وما أرى ذلك إلا من ضلال تلك المذاهب.

كما أن أعلام الخرافات حين ترفرف على عقول المسلمين لا ترفرف عليها إلا من خلال موروثات أضرت بالمسلمين أكثر مما نفعتهم، فبتلك الموروثات تقاتل المسلمون وحتى يومنا هذا، فلم يترك رسول الله مسلما سنيا وآخر شيعيا، إنما هي أسماء نتشيع لها لنفترق ونتباغض ونتخاصم بعد موت رسول الله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَـٰبِكُمْ .. ﴾ آل عمران: ١٤٤.

وأقصوصة عذاب القبر لن يرضى بنفيها من حصلوا على شهادات جامعية عليا من خلالها، وإلا لكانت شهاداتهم باطلة، فهم يدافعون عن كيانات دنيوية ودونية تنتهي بإفساد عقائد المسلمين.

وقد ورد بالحديث [دع ما يريبك إلى ما لا يريبك]، فإن معنى ذلك أن يحتاط المسلم لنفسه، خاصة في شأن العقيدة، فطالما لم يرد نص صريح بالقرءان – نص بلا تأويل لمتأول – فإن من الحكمة ألا أعتقد فيه، فلن يحاسبني الله بمقتضى البخاري ومسلم، كما أن اختلافهم (البخاري عن مسلم عن غيرهما) وما سكت عنه أحدهم وأورده الآخر، لا شأن لأحد به فيما يخص العقائد والإيمانيات، إنما سيحاسبنا جميعا على الإخلاص بمقتضى صريح نصوص القرءان، وليس بما يغوص له البعض ليستخرجوه ويقولون بأنه عقيدة، أو بأنه حرام، فما وضع الله ذلك بيد بشر، حتى إن كانوا أنبياء، وليس في ذلك تسفيه للسُنة كما يحلو للبعض أن يُزايد، لكن الأمر أمر تأصيل فقهي لأمور العقائد والإيمانيات، وترتيب للأولويات؛ فمن الأدب تقديم القرءان على السُنة، ومن الأدب والإيمان ألا نتوهم النقص في كتاب الله.

وعودة إلى أمر الحلقة التليفزيونية بقناة المحور عن إنكاري لعذاب القبر، فلقد تصدى بعدها جهابذة السُنة للأمر يدافعون، وما كان يهمهم إلا الدفاع عن صروحهم التي شيدوها عن قيمة ومدى الاستدلال بالسُنة القولية، أما موضوعية الأمر فقد كانوا أبعد الناس عنه، بل

تركوا كافة الآيات القرءانية التي استدللت بها في عدم وجود عذاب أو نعيم بالقبر، ولم يردوا عليها، ودعني أسرد لك ما قاله أحد هؤلاء الجهابذة بقناة الرحمة يوم الأربعاء الموافق ١١/١١/٢٠٠٩، لتدرك كيف أشرك هؤلاء رسول الله بالله في الحكم، أو على الأقل كيف يدلسون على الناس ويظهرون أشياء ويخفون أخرى.

فقد قال وهو يحاول التعريض بإسلامي ما يلي:[يقول الإمام الشوكاني في كتابه إرشاد الفحول: إن ثبوت حجية السُنَة واستقلالها بتشريعات الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام]. انتهى.

أرأيت تعبير [استقلال السُنَة بتشريعات الأحكام]، فإن كان يقصد السُنَة العملية فنحن معه، ويكون في هذه الحالة يضرب الكلام بعضه ببعض وليفهم من شاء ما شاء، وإن كان يقصد السُنَة القولية فقد أسند لرسول الله مهمة لم يُرسل بها، فما كان رسول الله مُشرعاً، إنما كان مبلغا ومبينا وبشيرا ونذيرا: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ المائدة: ٩٩، وقال تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ النحل: ٤٤. فكيف بعد تلك الآيات نقول بأن السُنَة القولية تستقل بالأحكام الإيمانية؟، أي تكون ناشئة لحكم يخضع له الناس في إيمانهم؟!.

هذا فضلا عن أن عذاب القبر ليس حكما تشريعيا حتى يقول ذلك الشيخ الشهير مقالة الإمام الشوكاني، ويضعها بغير موضعها، فعذاب القبر قضية إيمانية وليست حكما بفريضة ولا سنة، فالحاكم له أن يشرّع من الأحكام ما يفي بمصلحة العباد، فكيف ننكر ذلك على أقوال الرسول ﷺ؟، لكن للإيمانيات شأن آخر عجز الشيخ عن إدراكه.

كما عجز الشيخ الشهير عن إدراك الفرق بين النظر والرؤية والبصر، فلم يفرق بينهم، وكم أشفقت عليه وعلى عقله وقد عجز عن إدراك تناقض مقاله، وعجز عن كشف إشراكه الذي أوقعه به إبليس، فقد قال نقلا عن شيخه بن القيم في معرض ذكره أنواع السنّة النبوية، بأن [هناك سنّة موجبة لما سكت القرءان عن إيجابه، أو محرمة لما سكت القرءان عن تحريمه] ...ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومن لا يصدق فعليه بتسجيل برنامج (جبريل يسأل والنبي يجيب) بقناة الرحمة، فليرجع إليه ليدرك حجم الإشراك لمن يزعم الوحدانية والحكم لله، وتكلم الشهير فقدّم العلم على العقل، ولم يدرك أن العلم نتاج العقل، فما يمكن لمجنون أن يكون عالما، لكن العكس صحيح، وبرهن على مقاله في ذلك بأن لله اسم (العليم)، ولا يوجد لله اسم يسمى (العاقل)، وهو مما يجعل الإنسان يشفق على مثل تلك العقول النقلية التي لا تتحرك عن أقوال وجهد الأجداد من السلف، بل تراه فقد الهداية وهو يفرح بالعلم.

وتكلم عن أن النقل ضرورة لإدراك الفقه، لكن لا يمكن الاكتفاء بالعقل لإدراك الأمور، وأوافقه لكن مع التعديل؛ لأن القرءان منقول لنا ومع ذلك أمرنا ربنا أن نتفكر ونعمل عقولنا فيه، وطالما أعملنا العقول في القرءان فلماذا لا نُعمل العقول بالسُنّة النبوية القولية التي لم يتعهد الله بحفظها، والتي اختلف رواتها؟، فهذا ثبت عنده الحديث لكنه لم يثبت عند الآخر، وهذا حديث حسن، وآخر حسن صحيح، وثالث صحيح، ورابع ضعيف، وخامس مرسل؛ ومعلول إلى ستين نوعا، فكيف يكون المختلف فيه من الإيمانيات؟، وكيف نتعبد الله بحسن وصحيح وضعيف أيكون ذلك من الإيمانيات الواجبة!؟.

وهم لا يقولون لك أبدا أن البخاري ومسلم حين ذكرا حديث: [تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله]، لم يذكرا أبدا كلمة (وسنتي) التي يحلو لدعاتنا القول بها نقلا عما انفرد به مالك. إني أراهم وهم يفسدون عقول الناس ويمنعون أدمغتهم أن تنطلق من وصايتهم وعقالهم اللعين، وأراهم يعزفون لكم لحنا في الدين ولا يريدون لكم أن تسمعوا غيره.

ورأيته وهو يقول كلمة الحياة البرزخية، إن هؤلاء الأشياخ عبثوا بمعاني كلمات القرءان خارج الأطر والموضوعية القرءانية، لأنهم يوصلون في الناس كلمة حياة البرزخ، بينما لا يوجد شيء اسمه البرزخ يحيا الناس فيه، فالبرزخ هو الحائل والفاصل، وليس مكانا

تذهب إليه ونعيش فيه بهذا الاسم، لقوله تعالى: ﴿ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠٠؛ ويقول تعالى: ﴿ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ الرحمن: ٢٠.

ولن يسعفني الوقت ولا الصفحات لأتتبع هذا الشيخ وأمثاله في ترّهاتهم للرد عليها، لكن عزائي أن تلامذته ــ وقد سمعوه ــ سيقرءون كتابي هذا، ويوما ما سيفيقون من إغماءة المخدر الذي وضعه فقهاء جهل الناس في الناس، فما كان لهؤلاء أن يكونوا فقهاء إلا بجهل كثير من الناس وتوقف عقولهم عن العمل، فهم فقهاء بالصدفة، ويزعمون بأننا نعادي النقل، بينما نحن نذم من توقف عن تطهير المنقول البشري الذي يمكن تطهيره، وننادي أن يتم التطهير بالعقل وآليات اليوم.

والذين ينادون بكل فقه السلف، ويؤثمون كل من حاول نقد فقه الأسلاف، هم في الحقيقة ليسوا بفقهاء، فالفقيه هو من يستنبط الأحكام، ويُعمل العقل، أما هؤلاء فهم مجرد نَقَلَة لتراث بكل ما فيه، ومهما كان ما فيه، ولا يهمهم وهم في ذلك الهدير إلا أن يكونوا على فقه السلف، وكأن السلف هم أهل العصمة بينما نحن نُمثّل الخطيئة في نظر وعقول هؤلاء الناقلين بلا تعقل.

بحث فقهي

مع سرد وتخريج للأحاديث المزعومة

عن القبر وعذابه

بالبداية أود أن يعلم القارئ أن هذا الجزء من الدراسة لمن تعوّد المُدارسة الفقهية، فالعوام والذين لا همّ لهم إلا الطعن في جهد الآخرين بلا علم إلا من قلوب طيبة يملكونها، قد يجدون صعوبة في تتبع وتذوق وإدراك قيمة المعاني العلمية الواردة بذلك الجزء، لكن حسب الجميع أن يتبع أحسن القول كما أمر الله جل في علاه.

ولقد اعتدنا على تناقض الروايات المنسوبة لرسول الله ﷺ، واعتدنا على اختلافات أئمة الحديث والفقه، ورجمهم من يقول بتناقض بعض الأحاديث مع القرءان بعدم الدراية وبالقصور العلمي، لذلك أنقل للقارئ الكريم بعضا من فقههم بخصوص الأحاديث الواردة بعذاب القبر، ثم تخريجًا لبعض الأحاديث الواردة بالصحيحين (البخاري ومسلم)، من خلال علم الجرح والتعديل الذي ينتهجه أئمة علم الحديث، ليقف القارئ على حقيقة وأصل ما يعتنقه من فكر.

لكن أوضح بالبداية أن الحديث النبوي مهما صحت درجته، ومهما تم تدوينه بكتب الصحاح، فلا يؤخذ به ولا يعتمد عليه لاستخراج أحكام الإيمان والعقائد، وقد أوضحنا ذلك بالفصل الأول من تلك الدراسة، كما أن فقهاء الحديث اعتمدوا لصحة الحديث أن يكون سنده صحيحا، فهم بذلك يحكمون على صحة المتن، وهو الأمر المخالف للسوية الفكرية، إذ ان صحة المقولة هي التي تُبين صدق القائل وليست شهرة الراوي بالصدق هي التي تجعلنا نحكم صدق كل مقولة

تصدر عنه، لكن اعتماد الأمة عكس ذلك النهج دهورا أفقد الكثير من مناهجنا الرشاد.

ولابد أن نعلم أن التصور القرءاني هو أصدق تصور لما يحدث بالحياة وما يحدث بالممات وبعده، وليثق كل منا ويعيد إيمانه بالآية الكريمة التي قال تعالى فيها: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ الأنعام: ٣٨. والآية الكريمة: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾﴾ النبأ: ٢٩. وليس هناك كتاب بعد كتاب الله يمكن الاعتماد عليه في شأن العقائد، والله عز وجل لم يجعل الإيمانيات مُجهَلَة يستنبطها من يستنبطها ويجهلها من يجهلها، ولم يتركها لرسوله ليبينها في علم الحديث الذي نهى ﷺ الصحابة عن كتابته. وهو النبي الصادق القائل: [من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا]، وهو القائل: [من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار]. وقد قال الله تعالى للصحابة وللناس جميعا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ آل عمران: ١٤٤.

وفيما يلي نبدأ التأصيل والتخريج للأحاديث النبوية التي دونت بعد وفاته ﷺ بمائة وخمسين سنة لكن بعد شرح لأمر معضل.

التدليس

لست أدري كيف استساغ فقهاء علم الحديث واعتمدوا روايات المدلسين، بل ووضعوا رواياتهم ضمن الصحاح ويقولون عن أحدهم أصح كتاب بعد كتاب الله، فهل يكون التدليس ورواياته أصح الكلام؟!.

والتدليس في اللغة مصدر الفعل (دلس)، ويقال دلس البائع أي كتم عيب سلعته، وأصله مأخوذ من الخديعة، أو الظلمة التي لا يهتدي من فيها إلى الصواب.

ومعنى التدليس في علم الحديث [هو إخفاء عيب في الإسناد لتحسين ظاهره]، والمدلِّس هو الراوي الذي يفعل ذلك، والمدلَّس هو الحديث الذي فيه تدليس، ومن كثرة المدلسين في الرجال الذين تم نقل الحديث النبوي عنهم فقد قسمه فقهاء الحديث إلى أنواع لتحسين صورة البعض، ويكفيك أن تعلم أن ابن حجر قد صنف البخاري بالمدلس، لأنه نقل الحديث عن مجاهيل فقال في صحيحه (عن فلان) ولم يذكر اسم فلان هذا، ومع ذلك وللعجب أن يقوم الفقهاء بتحفيظنا أنه أصح كتاب بعد كتاب الله.

وقد قال بعض فقهاء الحديث إن التدليس هو الكذب، وقد قسم الفقهاء التدليس إلى أنواع كثيرة يجمعها قسمان رئيسيان هما:

تدليس الإسناد   تدليس الشيوخ

وقد استقبحه علماء الحديث، وأنكروه بشدة على المدلسين، وأشد قبحا عندهم تدليس التسوية، وهو فرع من تدليس الإسناد. وتجـد أحاديـث عذاب القبر وقد عجّت بالمدلسين.

ولمزيد من المعلومات عن التدليس والمدلسين يمكن الرجـوع إلى كتب الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣ هـ، وإلى كتاب أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ في كتابه تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، وكتاب عبد الرحمن بن أبي بكر الشهير بالسيوطي تدريب الراوي في شرح تقريب النـواوي. وكتـاب مقدمة ابن الصلاح لمؤلفه ابن الصلاح (أبو عمـرو عثمـان) تحقيـق الدكتورة عائشة عبد الرحمن طبعة دار المعارف عام ١٤١١هـ.

حكم رواية المدلّس:

إختلف العلماء حول رواية المدلس (تدليس الإسناد) على ثلاثة أقوال:

القول الأول : رد خبر المدلس مطلقاً، سواء صـرح بالسـماع أو لـم يصرح، أو دلس عن الثقات أو عن الضعفاء. وهو قول بعض أصـحاب الحديث وفريق من الفقهـاء، وهـو مـا أتبنـاه فـي كتـابي هـذا.

القول الثاني: قبول خبره مطلقاً، صرح بالسماع أو لم يصرح، وقال به جمهـور مـن قبـل روايـة المراسـيل فـي الحـديث.

القول الثالث: التفصيل: تُقبل إذا صرح بالسماع أو ما يقوم مقامه، وإلا فترد روايته، وقال بذلك الشافعي والخطيب البغدادي وابن الصلاح وأبو

الحسن ابن القطان والنووي وابن حجر ومن جاء بعده، وهــو الــذي عليه العمل في عصرنا.

وإليك فيما يلي باقة من الروايات المنسوبة زورًا لسيد الثقلين ﷺ والتي دخلت على الأمة فاعتنقت فقه القبور في أفكارهــا، وتركــت كتاب ربها لأجل تلك الروايات، وقلمت بتأويل نصوص بعــض الآيــات لتتناغم مع روايات العذاب، وليتخيل القارئ أنه تم حصر الأحاديث عن فقه القبور والمنسوبة زورا للنبي فوجدت كما يلي:ـ

عــدد أحاديــث عــذاب القبــر فــي الكُتُــب التســعة:

أولا – روايات عذاب القبر في مصنف البخاري وعددها (٣٢) رواية:
ثانيا – روايات عذاب القبر في مُصنف مسلم وعددها (٣٣) روايــة:
ثالثا – روايات عذاب القبر في مصنف الترمذي وعددها (١٨) رواية:
رابعا – روايات عذاب القبر في مصنف النسائي وعددها (٦٧) رواية:
خامسا – روايات عذاب القبر بمُصنف أبي داود وعددها (١٥)روايــة:
سادسا – روايات عذاب القبر في مُصنف ابــن ماجــة (١٤) روايــة:
سابعا – روايات عذاب القبر في مُصنف أحمد بن حنبل (١١٤) رواية:
ثامنا – روايات عذاب القبر في مُصنف مالك وعددها (٤) روايات فقط
تاسعا – روايات عذاب القبر في مصنف الدارمي وعددها (٤) روايات:

أهم النتائج التي خلص إليها علماء الحديث:

أولاً : التدليس طعنٌ في المروي لا في الراوي.

ثانياً : أحاديث المدلسين في صحيح البخاري غير طاعنة في شرط الصحة ، وذلك لأن احتمال الانقطاع قد زال ، إما بإثبات التصريح بالسماع للمدلس المعنعن الذي لا تُقبل روايته إلا بذلك ، أو ما يقوم مقام التصريح بالسماع من اعتبارات قبول عنعنة المدلس.

ثالثا : روايات المدلسين في صحيح البخاري تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول : أحاديث المدلسين الذين لا تضر عنعنتهم مطلقاً ، وهي كالتالي:

المرتبة الأولى : عدد الرواة : ١٨ راويا، عدد الـروايات : ١٨٦٠ رواية.

المرتبة الثانية : عدد الرواة : ٣٩ راويا، عدد الروايات : ٣٠٠٦ روايات.

القسم الثاني : أحاديث المدلسين الذين لا تُقبل أحاديثهم المعنعنة إلا إذا جاء مصرحاً بها بالسماع أو باعتبارات تقوم مـقام التصريح بالسماع، وهي كالتالي:

المرتبة الثالثة : عدد الرواة : ٢٣ راويا، عدد الأحاديث المصرح فيها بالسماع : ٥٤٧ حديثا، عدد الأحاديث المعنعن فيها : ٧٩٦ حديثا، نسبة الأحاديث المعنعنة : ٥٩.٢٧ % ، مجموع الأحاديث : ١٣٤٣ حديثا.

المرتبة الرابعة : عدد الرواة : ٦ رواة، عدد الأحاديث المصرح فيها بالسماع ٣٧ حديث، عدد الأحاديث المعنعن فيها : ٢٦ حديثا، نسبة الأحاديث المعنعنة : ٤١.٢٦ % ، مجموع الأحاديث :٦٣ رواية.

رابعا : نسبة أصحاب المرتبتين الأولى والثانية الذين لا تضر عنعنتهم

مطلقاً (٥٧.٣ %) من عدد المدلسين في صحيح البخاري.

خامسا : مجموع المدلسين في صحيح البخاري من كل المراتب (٦٨) مدلسا. علماً بأن عدد المدلسين الذين ذكرهم الحافظ بن حجر (١٥٢) مدلسا ، أي ما نسبته (٤٤.٧%) .

وسوف أسرد لك بعضا من تلك الروايات التي اشتهرت على ألسنة الدعاة والعامة على السواء، لتعلم من أي مغترف يغترف دعاتنا علومهم، وكيف يتم إضلال الأمة باسم (حديث صحيح)، ومرفق بكل حديث رواته ودرجته من الضعف أو الوضع، وذلك مما يلي:ـ

١ـ أبدأ بما بدأ به شيخ محدثي العصر الحديث، الشيخ/محمد ناصر الألباني ـ يرحمه الله ـ في كتابه سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، وقد دونت الأحاديث بأرقامها وكلماتها بالكتاب، وذلك فيما يلي:ـ

٥٦٣ - (موضوع)

[ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين، فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحي بجار السوء].

٩٦٦ - (منكر)

[من جلس على قبر يبول عليه أو يتغوط فكأنما جلس على جمرة] (منكر بهذا اللفظ) وقد روي عن أبي هريرة مرفوعا بلفظ [لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له

من أن يجلس على قبر] رواه مسلم وأصحاب السنن إلا الترمذي والطحاوي وغيرهما.

١٠٢١ - (باطل)

[من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي].

١١٤٧ - (منكر)

[إذا مررت عليهم (يعني أهل القبور) فقل : السلام عليكم يا أهل القبور من المسلمين والمؤمنين أنتم لنا سلف ونحن لكم تبع، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. فقال أبو رزين: يا رسول الله أو يسمعون؟، قال: ويسمعون ولكن لا يستطيعون ان يجيبوا أو لا ترضى يا أبا رزين أن يرد عليك (بعددهم من) الملائكة؟].

١١٦٦ - (ضعيف) [من مات فقد قامت قيامته] . (ضعيف).

١٧٨٢ - (موضوع)

[اتقوا البول، فإنه أول ما يحاسب به العبد في القبر].

٤٩٩٠ - (موضوع)

[ما يأتي على هذا القبر من يوم إلا وهو ينادي بصوت طلق ذلق : يا بن آدم كيف نسيتني ؟ ألم تعلم أني بيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الوحشة وبيت الدود وبيت الضيق إلا من وسعني الله عليه ؟ القبر إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار].

٤٠٨٥ - (ضعيف)

[كبروا على موتاكم بالليل والنهار أربع تكبيرات]

- " إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه " وفي رواية: " الميت يعذب في قبره بما نيح عليه ".

أخرجه الشيخان وأحمد من حديث ابن عمر، والرواية الأخرى لمسلم وأحمد ورواه ابن حبان في صحيحه (٧٤٢) من حديث عمران بن حصين نحو الرواية الأولى.

٧ - " من ينح عليه يعذب بما نيح عليه (يوم القيامة) "

(١) في هذا الحديث بيان أن البكاء المذكور في الحديث الذي قبله، ليس المراد به مطلق البكاء، بل بكاء خاصا وهو النياحة، وقد أشار إلى هذا حديث عرم المتقدم في الرواية الثانية، وهو قوله: ' ببعض بكاء...'.

ثم إن ظاهر هذا الحديث واللذين قبله مشكل، لأنه يتعارض مع بعض أصول الشريعة وقواعدها المقررة في مثل قوله تعالى: ' ولا تزر وازرة وزر أخرى'، وقد اختلف العلماء في الجواب عن ذلك على ثمانية أقوال، وأقربها إلى الصواب....(راجع الاختلافات بالمرجع المذكور، ثم تظر هل تكون الاختلافات في العقائد لدرجة ثمانية أقوال، وهل تصح بذلك عقيدة؟!!!).

٢ـ ثم أتناول بالكتابة فيما يلي سرد ما نشرته مجلة التوحيد الناطقة باسم جماعة أنصار السنة المحمدية، بالعدد الصادر في شهر شوال لعام ١٤٣٠ هجرية، سبتمبر ٢٠٠٩م العدد رقم (٤٥٤) صـ (٥٣- ٥٦) وذلك فيما يلي:ـ

رواية نداء القبر يوميًا على ابن آدم :

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثة للقارئ الكريم لبيان حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، ومما زادها شهرة التحدث بها عند تشييع الجنائز، وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة (قصة نداء القبر يوميا على ابن آدم).

أولا: متن القصة

رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال [خرجنا مع رسول الله في جنازة فجلس إلى قبر منها، فقال ما يأتي على هذا القبر من يوم إلا وهو ينادي بصوت طلق ذلق يا ابن آدم كيف نسيتني، ألم تعلم أني بيت الوحدة، وبيت الغربة، وبيت الوحشة. وبيت الدود. وبيت الضيق إلا من وسعني الله عليه] ثم قال النبي: [القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار] اهـ.

ثانيا: التخريج

أخرجه الطبراني في الأوسط ح قال حدثنا مسعود بن محمد الرملي قال

حدثنا محمد بن أيوب بن سويد قال حدثنا أبي قال حدثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال وذكر القصة.

ثالثا: التحقيق.

هذه القصة واهية، والخبر الذي جاءت به موضوع ومن الغرائب النسبية حيث قال الإمام الطبراني في «المعجم الأوسط» «لم يرو هذا الحديث عن الأوزاعي إلا أيوب بن سويد تفرد به ابنه» اهـ.

قلتُ نستنتج من قول الإمام الطبراني أن في الخبر غرابتين نسبيتين الأولى الخبر غريب عن الأوزاعي لم يروه عنه إلا أيوب بن سويد الثانية وهذا الخبر أيضًا غريب عن أيوب بن سويد تفرد به عنه ابنه محمد. وهذه الغرابة المزدوجة هي أساس الوضع في هذه القصة، حيث بيّن ذلك الإمام ابن حبان في كتابه «المجروحين» فقال «محمد بن أيوب بن سويد الرملي يروي عن أبيه عن الأوزاعي الأشياء الموضوعة لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه» اهـ.

قلت والموضوع اصطلاحا هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله ، ورتبته «هو شر الأحاديث الضعيفة وأقبحها لذلك نجد أن هذا الخبر مسلسل بالعلل.

العلة الأولى: محمد بن أيوب بن سويد الرملي فقد أورده الإمام الذهبي في» الميزان» وقال محمد بن أيوب بن سويد الرملي عن أبيه وغيره ضعفه الدارقطني. وقال ابن حبان لا تحل الرواية عنه قال أبو زرعة رأيته قد أدخل في كتب أبيه أشياء موضوعة. وأورده الإمام

الدارقطني في كتابه «الضعفاء والمتروكين» ت وقال محمد بن أيوب بن سويد الرملي ضعيف، وأورده الحافظ بن حجر في «لسان الميزان» قال: «محمد بن أيوب بن سويد الرملي عن أبيه وغيره ضعفه الدارقطني وقال ابن حبان لا تحل الرواية عنه قال أبو زرعة رأيته أدخل في كتب أبيه أشياء موضوعة «

قلت وبهذا يكون الحافظ بن حجر قد أقر قول الإمام الذهبي في محمد بن أيوب بن سويد الرملي. ثم زاد الحافظ بن حجر عليه بأن نقل قول الإمامين الحاكم وأبي نعيم في محمد بن أيوب بن سويد» قال الحاكم وأبو نعيم روى عن أبيه أحاديث موضوعة «.

العلة الثانية: أيوب بن سويد أبو مسعود الرملي

قال الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» أيوب بن سويد أبو مسعود الرملي حدثنا عبد الله بن محمد المروزي قال حدثنا أحمد بن عبد الله بن بشير المروزي قال حدثنا سفيان بن عبد الملك قال سمعت ابن المبارك يقول أيوب بن سويد ارمِ به.

قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» ت أيوب بن سويد ليس بثقة وأقر هذه الأقوال الإمام الذهبي في «الميزان» وقال «أيوب بن سويد الرملي أبو مسعود ضعفه أحمد وغيره، وقال النسائي ليس بثقة، وقال ابن معين ليس بشيء، وقال ابن المبارك ارم به، وقال البخاري يتكلمون فيه» اهـ.

العلة الثالثة: تدليس يحيى بن أبي كثير

قال الحافظ بن حجر في «التقريب» يحيى بن أبي كثير الطائي مولاهم أبو نصر اليماني يدلس ويرسل اهـ.

وأورده الحافظ بن حجر أيضا في «طبقات المدلسين» المرتبة الثانية رقم وقال يحيى بن أبي كثير اليماني من صغار التابعين حافظ مشهور كثير الإرسال ويقال لم يصح له سماع من صحابي ووصفه النسائي بالتدليس اهـ.

وأورده الإمام السيوطي في» أسماء المدلسين» رقم وقال «يحيى بن أبي كثير مشهور بالتدليس ذكره النسائي» اهـ.

قُلْتُ وبالرجوع إلى السند نجد أن يحيى بن أبي كثير عنعن ولم يصرح بالسماع، ولقد بين الحافظ بن حجر في شرح النخبة النوع حكم التدليس فقال «حكم من ثبت عنه التدليس إذا كان عدلاً أن لا يُقبل منه إلا ما صرح فيه بالتحديث على الأصح» اهـ.

بهذا التحقيق يتبين أن قصة «نداء القبر يوميا على ابن آدم» قصة واهية وخبرها تالف مسلسل بالعلل من الوضاعين والمتروكين والمدلسين.

رابعًا: طريق آخر تالف لذات القصة

هناك طريق آخر تالف جاءت به أكثر جمل هذه القصة الواهية رُوِيَ عن أبي سعيد عن رسول الله قال [لم يأت على القبر يومٌ إلا تكلم

فيه فيقول أنا بيت الغربة، وأنا بيت الوحدة، وأنا بيت التراب، وأنا بيت الدود، فإذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبًا وأهلاً، أما إنْ كنت لأحبَّ من يمشي على ظهري إليَّ، فإذا وليتك اليوم وصرت إليَّ فسترى صنيعي بك قال فيتسع له مدَّ بصره ويفتح له باب إلى الجنة وإذا دفن العبد الفاجر أو الكافر قال له القبر لا مرحبًا ولا أهلاً، أما إن كنت لأبغض من يمشي على ظهري إليَّ، فإذ وليتك اليوم وصرت إليَّ فسترى صنيعي بك قال فيلتئم عليه حتى تلتقي عليه وتختلف أضلاعه، قال قال رسول الله بأصابعه فأدخل بعضها في جوف بعض، قال: ويقيِّض له سبعون تنينًا، لو أن واحدًا منها نفخ في الأرض، ما أنبتت شيئًا ما بقيت الدنيا، فينهشنه ويخدشنه حتى يُفضي به الحساب قال رسول الله (إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)]

خامسًا: تخريج هذا الطريق للقصة

هذا الطريق أخرجه الإمام الترمذي في «السنن» شاكر ح قال حدثنا محمد بن أحمد بن مدُّويه، حدثنا القاسم بن الحكم العُرني حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصَّافي عن عطية عن أبي سعيد مرفوعًا.

سادسًا: التحقيق

بعد أن أخرج الإمام الترمذي هذا الخبر قال «هذا حديث غريب لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه» اهـ.

قلت قول الإمام الترمذي «هذا حديث غريب يعني أنه غير صحيح كما

هو اصطلاحه حينما يفرد الحديث بهذا الوصف «غريب» بخلاف ما إذا قال «حديث صحيح غريب» أو حديث» حسن غريب» كما هو معلوم عند أهل العلم.

قلت وقد يقع في بعض النسخ «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه» اهـ، ولذلك بعد أن نقل الشيخ الألباني رحمه الله هذه العبارة المنسوبة إلى الإمام الترمذي رحمه الله في «الضعيفة» قال «وأنى له الحسن وعطية ضعيف مدلس والوصافي ضعيف جدا، وبه أعله المنذري فقال وهو واه» اهـ.

قلت لذلك اعتمدت على الله وحده، ثم طبعة الشيخ أحمد شاكر محدث النيل رحمه الله لكتاب السنن للإمام الترمذي، والذي قال في مقدمته: [والذي اعتمدته من نُسَخ الكتاب المخطوطة والمطبوعة سبع نسخ وقال ولقد اتبعت في تصحيح كتاب الترمذي هذا أصح قواعد التصحيح وأدقها، واجتهدت في إخراج نصه صحيحا كاملاً، على ما في الأصول التي وصفت من اضطراب واختلاف، وعلى أنه لم يقع لي منه نسخة يصحُ أن تسمى «أصلاً «بحق، كأن تكون قريبة من عهد المؤلف، أو تكون ثابتة القراءة والأسانيد، على شيوخ ثقات معروفين، ولكن مجموع الأصول التي في يدي يخرج فيها نص أقرب إلى الصحة من أي واحد منها، ولم أكتب فيه حرفا واحدا إلا عن ثبت ويقين وبعد بحث واطمئنان] اهـ .

قلت لذلك قال الإمام العراقي رحمه الله في «تخريج الإحياء» «أخرجه

الترمذي وقال غريب» ثم قال فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف.
قلت وبهذا ثبت لي بيقين قول الترمذي عن هذا الخبر هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ومن تحقيق الإمام العراقي ومن العلل الظاهرة التي بها تصبح القصة من هذا الطريق واهية.
العلة الأولى: عبيد الله بن الوليد الوصافي.
في «سؤالات عثمان بن سعيد الدارمي» للإمام يحيى بن معين السؤال سألته عن عبيد الله بن الوليد الوصافي؟ فقال ليس بشيء، قال الإمام العقيلي في «الضعفاء الكبير» «عبيد الله بن الوليد الوصافي في حديثه مناكير، لا يتابع على كثير من حديثه» وقال حدثنا أحمد بن محمود، قال حدثنا عثمان بن سعيد، قلت ليحيى بن معين عبيد الله بن الوليد الوصافي؟ قال ليس بشيء.
قال الإمام النسائي في كتابه «الضعفاء والمتروكين» ت «عبيد الله بن الوليد الوصافي متروك الحديث».
قلت وهذا المصطلح له معناه
قال الحافظ بن حجر في» شرح النخبة» «كان مذهب النسائي أن لا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه».
قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» «عبيد الله بن الوليد الوصافي من أهل الكوفة من ولد الوصاف بن عامر العجلي واسم الوصاف مالك روى عنه أهلها، منكر الحديث جدا، يروي عن الثقات عطاء وغيره ما لا يشبه حديث الإثبات حتى إذا سمعها المستمع سبق إلى قلبه أنه

كالمتعمد لها فاستحق الترك» اهـ.

ونقل الإمام الذهبي في» الميزان» أقوال هؤلاء الأئمة وأقرها وزاد عليها فقال «عبيد الله بن الوليد الوصافي، عن عطية العوفي وعطاء بن أبي رباح، روى عثمان بن سعيد عن يحيى ليس بشيء، وقال أحمد ليس يحكم الحديث يكتب حديثه للمعرفة، وقال أبو زرعة والدارقطني وغيرهما ضعيف «

وقال ابن حبان يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات حتى يسبق إلى القلب أنه المتعمد له فاستحق الترك وقال النسائي والفلاس متروك

العلة الثانية: عطية العوفي

قال الإمام ابن حبان في «المجروحين» «عطية بن سعد العوفي» كنيته أبو الحسن من أهل الكوفة، يروي عن أبي سعيد الخدري، سمع من أبي سعيد الخدري أحاديث فلما مات أبو سعيد جعل يجالس الكلبي ويحضر قصصه فإذا قال الكلبي قال رسول الله بكذا، فيحفظه وكناه أبا سعيد ويروي عنه، فإذا قيل له من حدثك بهذا ؟ فيقول حدثني أبو سعيد فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخدري وإنما أراد به الكلبي، فلا يحل الاحتجاج به، ولا كتابة حديثه إلا على وجه التعجب اهـ .

قلتُ وأورده الحافظ بن حجر في «طبقات المدلسين» المرتبة الرابعة رقم قال «عطية بن سعد العوفي تابعي معروف، ضعيف الحفظ مشهور بالتدليس القبيح» اهـ

قلت والمرتبة الرابعة من المدلسين بيَّنها الحافظ بن حجر في

مقدمة كتابه «طبقات المدلسين» حيث قال «الرابعة من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل كبقية بن الوليد» اهـ .

وفي هذا الخبر نجد أن عطية العوفي فوق أنه متروك لا تحل الرواية عنه، إلا على سبيل التعجب، نجده أيضًا مشهور بالتدليس القبيح ولم يصرح في هذه الرواية التي جاءت بها هذه القصة بالسماع ولكنه عنعن فلا يقبل حديثه، فالسند عن عطية عن أبي سعيد.

وبهذا تصبح القصة من هذا الطريق أيضًا واهية لما فيها من متروكين ومدلسين.

لذلك قال المنذري في «الترغيب والترهيب» «رواه الترمذي واللفظ له والبيهقي كلاهما من طريق عبيد الله بن الوليد الوصافي وهو واهٍ عن عطية وهو العوفي عن أبي سعيد «.

ونقل ذلك الشيخ الألباني رحمه الله كما بينا آنفًا وحكم على القصة بأنها موضوعة في «الضعيفة» ح .

وبهذا يتبين أن هذا الطريق بما فيه من متروكين ومدلسين لا يزيد القصة إلا وهنًا على وهن .

هذا حتى لا يتوهم متوهمٌ أن الحديث الضعيف يقوي بعضه بعضًا، ولا يدري أن هذا الكلام ليس على إطلاقه، وإلى القارئ الكريم هذه القاعدة التي نقلها الحافظ الإمام ابن كثير رحمه الله في اختصار علوم الحديث.

»قال الشيخ أبو عمرو لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن

يكون حسنا ؛ لأن الضعف يتفاوت فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا، كرواية الكذابين والمتروكين» اهـ .

قلت وهذه القاعدة يجب أن يعض عليها طالب هذا العلم بالنواجذ وبتطبيقها تجد أن القصة واهية ولا يزول ضعفها بل يزداد ضعفا على ضعف، ولذلك قال الإمام أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله في» علوم الحديث» «ليس كل ضعف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه، بل ذلك يتفاوت، فمن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته وذلك كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهمًا بالكذب، أو كون الحديث شاذًا، وهذه جملة تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة» ا .هـ.

ثالثا: تخريج أحاديث كتب الصحاح

أـ صحيح البخاري

بالبداية أود أن أذكر أن التخريج الوارد استخدم فيه كتب الرجال المدونة بمعرفة أئمة الحديث، وبخاصة كتاب ابن حجر [تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس]، [والموسوعة الحديثية]، كما أنه من العسير كتابة التخريجات لكافة الأحاديث الواردة بكل كتب الصحاح لكن انتقينا منها ما رأينا أنه المفيد للقارئ، وقمنا باختصار الأمر بصورة لا تسمح بالإطالة الممجوجة، مع تكرار شكرنا لكل من ساهم وبخاصة الأستاذ الكبير/ عبد الفتاح عساكر، ونبدأ بأشهر

الأحاديث الواردة بصحيح البخاري عن عذاب القبر وعددها ٣٢ رواية انتقينا منها ما يلي:—

(١)حـــديث الجريدة

وهي الرواية التي يحشد لها الناس الأهميـــة حيـــث روي أن النبي ﷺ رأي قبرًا فقال إن به اثنين من الموتى يُعذبان، فأما أحـدهما فكان لا يتنزه من البول (لا يستنجي) وأما الآخر فكـــان يمشـــي بـــين الناس بالنميمة، وأخذ جريدة وشقها نصفين ووضع كل شق منها على قبر كل منهما، وقال علّه يُخفف عنهما ما لم ييبسـا، وتلـك الروايـة وردت بالصحيحين، ولم تخل من العلل في كلهيما.

وتلك الرواية وردت برقم (٢٠٩) وبها عثمان: ورتبتـــه ثقـــة حافظ له أوهام، واسمه عثمان بن محمد بن ابراهيم بن عثمان وكنيته أبو الحسن، فتصور أصح كتاب بعد كتاب الله ينقل عن من له أوهام.

ووردت الرواية تحت رقم (٢١١) وبرقم (١٢٧٣& ١٢٨٩) بكتاب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف، وكتاب عذاب القبــر مـــن الغيبة والبول، وبهم جميعا (الأعمش) ورتبته ثقة حافظ لكنـــه يـــدلس وهو أهم الرواة وأشهرهم في هذا الحديث في أكثر الكتـــب، واســـمه سليمان بن مهران وكنيته أبو محمد، وقال عنه الذهبي: ما نقموا عليه إلا التدليس وهو يدلس، وقال عنه ابن المبارك إنما أفسد حديث الكوفة أبو إسحق والأعمش، وقال عنه أحمد بن حنبل: في حـــديث الأعمـــش

اضطراب كثير، وقال عنه أيضا إنه كان يروي عن أنس مع أن روايته عن أنس منقطعة لأنه ما سمع من أنس، وقال عنه ابن المديني: الأعمش كان كثير الوهم، وما قيل فيه عموما يضيق به المقام لكن نكتفي بذلك القدر، فأين أهل الصحاح من الجريدة؟!.

والروايتان أرقام ٥٥٩٢ & ٥٥٩٥ فيهما عبيدة بن حميد وقد أورد فيهما ابن حجر أنه صدوق وربما أخطأ.

وبعد: فقد كانت تلك ست روايات عن موضوع الجريدة والعذاب من البول والنميمة بالقبر، ونلكم ما أورده علم الرجال في الرجال، فهل تصح عقيدة وإيمان بذلك التدليس والأوهام والخطأ؟!.

(٢) وعن الرواية التي تزعم بأن [الميت في قبره يعذب بما ينيح عليه] وردت الرواية رقم (١٢١٠) كتاب الجنائز بباب التعوذ من عذاب القبر في الكسوف فيه سعيد بن المسيب ورتبته ثقة حافظ كثير التدليس والخلط، وقال عنه محمد بن سعيد: ثقة اختلط آخر عمره، قلست أدري علام نترك كتاب الله، أنتركه لأجل من يخلط ومن يدلس، وما أسميناه حديث صحيح، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(٣) وعن دعاء النبي بالتعوذ من عذاب القبر ورد الحديث رقم (١٢٨٨) وفيه هشام: ورتبته ثقة وقد رُمي بالقدر وهو هشام بن أبي

عبد الله بن سنبر، وفيه يحي وأبو هريرة: ثقة ثبت لكنه يدلس ويرسل.

وكذلك الحديث رقم (٤٣٣٨) عن نفس الموضوع، فيه هارون بن موسى أبو عبد الله الأعور ورتبته ثقة إلا أنه رُمي بالقدر.

والحديث رقم (٥٩١١) عن نفس الموضوع، فيه عبيدة بن حميد: الرتبة صدوق وربما أخطأ، وفيه عبد الملك بن عمير: الرتبة ثقة عالم تغير حفظه وربما دلس، فهل يصح تبني فكرة التعوذ من عذاب القبر؟.

(٤) وبالحديث رقم (٣٦٨١) كتاب المغازي باب قتل أبي جهل ان النبي قام على القليب وكلّم موتى المشركين بعد أن قُتلوا، ففيه أبو أسامة: ورتبته ثقة وربما يدلس، وفيه هشام: وهو ثقة وربما يدلس، وهو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام وأنكره الذهبي وابن قطان.

(٥) وبالحديث رقم (٥٨٨٩) من أن النبي قال عن الموتى إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم، ففيه عثمان بن أبي شيبة: ورتبته ثقة حافظ وله أوهام.

وبعد فكان ذلك تخريج (١٣) حديثا وردت بصحيح البخاري من إجمالي ٣٢ رواية كلها تجمعها العلل وفق مراجع علماء الحديث، وباقي الروايات تحمل جميعا في طياتها العلل لكن لضيق المقام اكتفيت

بهذا القدر، أما علم التبرير الذي يستحسن المدلسين وأصحاب الأوهام وغيرهم، ويسمي قولهم بالصحيح، فلا طاقة لنا بجدال مع أصحابه.

ب ـ صحيح مسلم

من البدهي أن يذكر الإمام مسلم في صحيحه رواية الجريدة السابق ذكرها (ص١٢٣) وتم تفنيد القول فيها بأن فيها عثمان والأعمش، وما روي عن عللهما كان أعظم من اختصاراتنا، فيمكن الرجوع إليه، كما سبق وذكرنا أن الطرق الضعيفة لا يقوي بعضها بعضا، وأن ورودها من طرق مختلفة لا يُحسنها بالضرورة، بل يمكن أن يؤكد ضعفها (راجع أقوال أئمة الحديث في ذلك ص ١٢١&١٢٢).

وعدد روايات عذاب القبر بصحيح مسلم (٣٣) رواية: منها عدد (٢٩) رواية مطعونة في سندها، ومنها عدد (٤) روايات فقط سندها غير مطعون فيه، لكن متونها جميعا تتصادم مع كتاب الله، وإليك تخريج لبعضها فيما يلي:ـ

الرواية رقم : (٩٢١) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ،باب استحباب التعوذ من عذاب القبر:((حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى وَعَمْرُو بْنُ سَوَّادٍ قَالَ حَرْمَلَةُ أَخْبَرَنَا وَقَالَ الْآخَرَانِ حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ")) .

*** بيانات الراوي المجروح في هذه الرواية: أبو هريرة: [انظر بياناته في الحديث رقم [١٢٨٨] الذي رواه البخاري في هذا البحث . جاء في كتاب سير أعلام النبلاء: ٢ /٦٠٨، وكتاب ابن عساكر] تاريخ دمشق]، طبعة إحياء التراث ٧١/٢٦٦: [شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس. !...وقال ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب [ص ٧١٨-٧١٩]: '...اختلف في اسمه اختلافا كثيرا لا يحاط به ولا يضبط في الجاهلية والإسلام ....'وهناك دليل من البخاري. على تدليس أبي هريرة الذي أسلم وعاصر النبي ثلاث سنوات وتسعة أشهر فقط، ثم توفي النبي ﷺ.

روى مسلم الرواية رقم : (٩٢٤) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة ((حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ وَابْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو كُرَيْبٍ وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ جَمِيعًا عَنْ وَكِيعٍ قَالَ أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَائِشَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَعَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ*)) .

*** بيانات الراوي المجروح في هذه الرواية :

أبو هريرة : [انظر بياناته في الحديث رقم [١٢٨٨] الذي رواه البخاري في هذا البحث .] * يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ : ثقة ثبت لكنه

يدلس ويرسل . روى مسلم برقم : (٤٩٠٠) في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب : باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.؟.

((حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عبيد الله حدثنا إبراهيم بن سويد النخعي حدثنا عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال كان رسول الله ﷺ إذا أمسى قال أمسينا وأمسى الملك لله والحمد لله لا إله إلا الله وحده لا شريك له قال الحسن فحدثني الزبيد أنه حفظ عن إبراهيم في هذا له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم أسألك خير هذه الليلة وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها اللهم إني أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر اللهم إني أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر")) .

*** بيانات الراوي المجروح في هذه الرواية :

* عبد الواحد بن زياد : الرتبة : ثقة – في حديثه عن الأعمش وحده مقال ، مهم جدا أن تعرف – أيها القارئ الكريم – من الأعمش؟ وقد سبق ذكره.

وروى مسلم الرواية رقم : (٤٩٠١) في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب : باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.؟.((حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الحسن بن عبيد الله عن إبراهيم بن سويد عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال

كان نبيُّ اللهِ ﷺ إذا أمسى قال أمسينا وأمسى المُلْكُ للهِ والحمدُ للهِ لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ قال أُراهُ قال فيهنَّ لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ ربِّ أسألُكَ خيرَ ما في هذهِ الليلةِ وخيرَ ما بعدَها وأعوذُ بكَ من شرِّ ما في هذهِ الليلةِ وشرِّ ما بعدَها ربِّ أعوذُ بكَ من الكسلِ وسوءِ الكِبَرِ ربِّ أعوذُ بكَ من عذابٍ في النارِ وعذابٍ في القبرِ وإذا أصبحَ قال ذلكَ أيضًا أصبحنا وأصبحَ المُلْكُ للهِ*)) .

*** بيانات الراوي المجروح في هذه الرواية : عثمانُ بنُ أبي شيبة : الرتبة : ثقة حافظ وله أوهام .؟.

روى مسلم باب عرضِ مقعدِ الميتِ من الجنةِ أو النارِ عليهِ وإثباتِ عذابِ القبرِ والتعوذِ منهُ الرواية رقم : (٥١١٢) في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه: ((حدثنا يحيى بن أيوب وأبو بكر بنُ أبي شيبةَ جميعا عن ابنِ عُليَّةَ قال ابنُ أيوبَ حدثنا ابنُ عُليَّةَ قال وأخبرنا سعيدٌ الجُرَيْرِيُّ عن أبي نضرةَ عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ عن زيدِ بنِ ثابتٍ قال أبو سعيدٍ ولم أشهدْهُ من النبيِّ ﷺ ولكنْ حدثنيهِ زيدُ بنُ ثابتٍ قال بينما النبيُّ ﷺ في حائطٍ لبني النجارِ على بغلةٍ لهُ ونحنُ معهُ إذْ حادتْ بهِ فكادتْ تلقيهِ وإذا أقبرٌ ستةٌ أو خمسةٌ أو أربعةٌ قال كذا كان يقولُ الجُرَيْرِيُّ فقال من يعرفُ أصحابَ هذهِ الأقبرِ فقال رجلٌ أنا قال فمتى ماتَ هؤلاءِ قال ماتوا

في الْإِشْرَاكِ فَقَالَ إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ فَقَالَ تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ قَالَ تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ قَالَ تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ قَالُوا نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ)) .

*** بيانات الراوي المجروح في هذه الرواية :

* ابْنُ أَيُّوبَ : الرتبة : صدوق ربما أخطأ .؟.؟.!.

* سَعِيدٌ الْجُرَيْرِيُّ : الرتبة : ثقة اختلط قبل موته .؟.!.

وروى مسلم الرواية رقم : (٥١١٨) في كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب : عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

((حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَأَبُو بَكْرِ بْنُ نَافِعٍ قَالُوا حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَعْنُونَ ابْنَ مَهْدِيٍّ عَنْ سُفْيَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ خَيْثَمَةَ عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ قَالَ نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ*)) .

*** بيانات الراوي المجروح في هذه الرواية : * سُفْيَانَ : الرتبة : ثقة حافظ وربما دلس .؟.!.؟.!. وهو سفيان بن سعيد بن مسروق

ونسبه الثوري من طبقة كبار الأتباع ، وكنيته أبـو عبـد الله ، أقـام بالكوفة ومات في البصرة عام ١٦١هـ

* خثيمة : الرتبة : ثقة يرسل ، والمرسل حديثه ضـعيف كمـا قـال النووي في كتابه [التقريب .] .

ج ـ رواية منكر ونكير والسؤال بالقبر

من غرائب التدين الشعبي البعيد عن دين الله ما يتناقله الدعاة وتابعهم فيه المسلمون: من قصة منكر ونكير، وما يواكب تلك الخرافة من تلقين الميت (باعتبار أنه يمـوت إلا مـن سـمعه وبصـره كمـا يزعمون)، وتلك الخرافة كما أوردها الترمذي ـ رحمه الله ـ بالحديث رقم (٩٩١) في كتاب : الجنائز عن رسول الله باب ما جاء في عـذاب القبر، نوردها فيما يلي:ـ

((حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ يَحْيَى بْنُ خَلَفٍ الْبَصْرِيُّ حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ عَـنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَقَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْـوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ مَا كُنْتَ تَقُـولُ فِـي هَذَا الرَّجُلِ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَـذَا ثُـمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ ثُمَّ يُقَالُ لَـهُ نَمْ فَيَقُولُ أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولَانِ نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَـا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِـكَ وَإِنْ كَـانَ

مُنَافِقًا قَالَ سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي فَيَقُولَانِ قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ وَفِي الْبَاب عَنْ عَلِيٍّ وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ وَأَبِي أَيُّوبَ وَأَنَسٍ وَجَابِرٍ وَعَائِشَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ كُلُّهُمْ رَوَوْا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ قَالَ أَبُو عِيسَى حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ *) .

- بيانات الراوي المجروح في هذه الرواية :
- عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَق :الرتبة : صدوق رمي بالقدر .؟.!.
- سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ :ثقة تغير قبل موته بأربع سنين. وفيه أَبُو هُرَيْرَةَ وقد سبق بيانه.

د ــ روايات الثعبان الشجاع الأقرع

مما يدلك على خلط الدعاة وتسييب التدين الشعبي، أنك تجدهم يتصورون ذلك الثعبان الذي يطلقون عليه اسم الشجاع الأقرع أنه من بين عناصر عذاب القبر، بينما لا وجود لذلك الأقرع بكتب الحديث كعذاب قبر، لكنه مذكور على أنه من بين الغيبيات التي تحدث يوم القيامة في جهنم، ومن البدهي أن يدافع من نالوا شهادات الدكتوراة والماجستير عن شهاداتهم التي حصلوا عليها من خلال علم مفترى، فهو تماما كعلم رضاع الكبير الذي تم تأليف الكتب فيه على أنه من الصحاح، وما أرى

ذلك كله إلا علم الزيف على رسول الله والدين القويم، يضاهئون به القرءان ويحرفونه.

ولعلك تعجب إذا علمت أن رواية ذلك الثعبان مذكورة بكتب الصحاح التسعة عدا الترمذي، وإليك تخريج لبعض من تلك الرواية بكتب الصحاح:ـ

روى البخاري الرواية رقم : (٤١٩٩) في كتاب : تفسير القرآن ، باب : ولا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ.

((حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُنِيرٍ سَمِعَ أَبَا النَّضْرِ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ هُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ يَعْنِي بِشِدْقَيْهِ يَقُولُ أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ*)) .

* بيانات الراوى المجروح :

* عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ : الرتبة صدوق يخطئ .؟!!.

* أبو هُرَيْرَةَ: الرتبة : : مدلس!!. والعجيب أنه جاء في كتاب سير أعلام النبلاء: ٢ /٦٠٨، وكتاب ابن عساكر [تاريخ دمشق]، طبعة إحياء التراث ٦٧/٣٦٦: [شعبة يقول: أبو هريرة كان يدلس] ...

وقال ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب [ص ٧١٨-٧١٩] : " ...اختلف في اسمه اختلافا كثيرا لا يحاط به ولا يضبط في الجاهلية والإسلام، وهناك دليل من البخاري، علي تدليس أبي هريرة !!. هو مُلزم للجمهور باعتبار أنه أصح كتاب بعد كتاب الله . كما يزعمون ...؟!.!.وإليك الرواية التي تؤكد أن [أبا هُرَيْرَةَ] مدلس .

قال البخاري الحديث رقم (١٧٩١) ترقيم فتح الباري في كتاب الصوم الصائم يصبح جنبا : { حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ أَنَّ أَبَاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَ مَرْوَانَ أَنَّ عَائِشَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ أَخْبَرَتَاهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُدْرِكُهُ الْفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أَهْلِهِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ وَقَالَ مَرْوَانُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْحَارِثِ أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتُقَرِّعَنَّ بِهَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَمَرْوَانُ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْمَدِينَةِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ فَكَرِهَ ذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ثُمَّ قُدِّرَ لَنَا أَنْ نَجْتَمِعَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ وَكَانَتْ لِأَبِي هُرَيْرَةَ هُنَالِكَ أَرْضٌ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِأَبِي هُرَيْرَةَ إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا وَلَوْلَا مَرْوَانُ أَقْسَمَ عَلَيَّ فِيهِ لَمْ أَذْكُرْهُ لَكَ فَذَكَرَ قَوْلَ عَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ فَقَالَ كَذَلِكَ حَدَّثَنِي الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ وَهُنَّ أَعْلَمُ وَقَالَ هَمَّامٌ وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْمُرُ بِالْفِطْرِ وَالْأَوَّلُ أَسْنَدُ } ومعنى ذلك أن الذي قال له هذا الكلام : الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ . وليس: عَائِشَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ [؟!!!] . والأمثلة علي تدليسه كثيرة .!. فيما رواه بجميع كتب المرويات.

وروى مسلم الرواية رقم : (١٦٥٠) في كتاب:الزكاة، إثم مانع الزكاة.

((حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلَا بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّهَا إِلَّا أُقْعِدَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَطَؤُهُ ذَاتُ الظِّلْفِ بِظِلْفِهَا وَتَنْطَحُهُ ذَاتُ الْقَرْنِ بِقَرْنِهَا لَيْسَ فِيهَا يَوْمَئِذٍ جَمَّاءُ وَلَا مَكْسُورَةُ الْقَرْنِ قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا حَقُّهَا قَالَ إِطْرَاقُ فَحْلِهَا وَإِعَارَةُ دَلْوِهَا وَمَنِيحَتُهَا وَحَلَبُهَا عَلَى الْمَاءِ وَحَمْلٌ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا مِنْ صَاحِبِ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتْبَعُ صَاحِبَهُ حَيْثُمَا ذَهَبَ وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ وَيُقَالُ هَذَا مَالُكَ الَّذِي كُنْتَ تَبْخَلُ بِهِ فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فِيهِ فَجَعَلَ يَقْضَمُهَا كَمَا يَقْضَمُ الْفَحْلُ*)) .

* بيانات الراوى المجروح : * عَبْدُ الْمَلِكِ: الرتبة : ثقة ربما أخطأ .!.؟. * أَبُو الزُّبَيْرِ : الرتبة : صدوق إلا أنه يدلس .؟.!. وهو محمد بن مسلم بن تدرس ونسبه الأسدي وكنيته أبو الزبير.

تعليق: وأكتفي بهذا القدر، ويكفي أن أيا من الذين قام المحقق بتجريحهم كان مرجعه في ذلك كُتُب الرجال التي شيدها علماء الحديث، فكيف نأمن المدلسين وأصحاب الأوهام ومن تم رميهم بالقدر وأصحاب الأخطاء على ديننا، خاصة وأن علماء الحديث قدموا الجرح على التعديل، وكيف يصرح للمدلس بالسماع؟، ثم كيف نقول بعد كل ذلك أصح كتاب بعد كتاب الله؟!، ونقول قال رسول الله نقلا عنهم؟!، فما هي

إلا روايات الرواة ــ واحد فقط عن واحد فقط ــ الذين لم يسلم أحدهم من الجرح بينما يتخذ المسلمون رواياتهم إيمان وعقائد!!.

وكم كنت متألما وأنا أكتب عن شيخ الرواة أبو هريرة أنه مدلس، لكني أنقل للقارئ ما دونته كتب الأقلمين من الثقات والمعتمدين في علم الحديث وعلم الرجال من أهل السنة. لذلك فإني حينما انتهيت وبعض أكابر العلماء الذين أتفق معهم على عدم الاعتماد على روايات الحديث النبوي في العقائد والإيمانيات والغيبيات، فإن ذلك أثبت لدين المرء (راجع ص١٠&١٧)، وحقا قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ العنكبوت: ٥١ ، ويقول تعالى: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ الجاثية: ٦ - ٩.

وأهيب بالدعاة وأصحاب البحث في كتاب الله، ألا يكون تفسيرهم لكتاب الله معتمدا على الحديث القولي المخالف للقرءان، فلربما فتح علينا ذلك النهج الكثير من البلايا والفتن؛ وأهيب بهم أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يتلمظوا بالآخرين، فإذا كانوا يؤمنون بأن

النبي قال: [لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج]، فلا يخالفوا ما يؤمنون به من أجل عـرض من عروض الدنيا.

وأنصح الشباب ألا ينضووا خلف كل جديد، ولا حتى تحت لواء منقولات الأقدمين، إذ لا بد عليهم من تفعيل عقلهم فيمـا يسمعون أو يقرءون، ولا يغرنكم كثرة السادرين والهالكين، فلقد قال تعـالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ يوسف: ١٠٦.

ويقول تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ الأنعام: ١١٦، ويقول تعـالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ يونس: ٣٦.

خاتمة وتلخيص

*•وبعد تخريج الأحاديث: فهل كنت تظن بأن حديث [إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار] حديث موضوع؟.

*وهل كنت تظن أن حديث [من مات فقد قامت قيامته] حديث ضعيف؟.

*وهل كنت تتصور بأن للنبي حق التحليل والتحريم فيما سكت عنه القرءان كما يقول بذلك أشياخ السلفية ويتبعهم في ذلك الصوفية؟.

*وهل كنت تتخيل بأن الثعبان الشجاع الأقرع المزعوم والشهير، لا وجود له بالقبور، وأنه بجهنم وأنه لا علاقة له بترك الصلاة؟.

*وهل تدبرت القرءان أبدا حين قرأت مقال الله في تطاير الكتب والعلاقة بين المحسن والمسيء فيها وبين عذاب مزعوم بالقبر؟، بل عدم وجود عرض لمقعد الإنسان من الجنة أو النار عند الوفاة؟.

*ومن أيهما عرفت الفرق في الإحساس حين مغادرة النفس للجسد بين الكافر والمسلم من القرءان أم السُنّة؟.

*وهل فكرت يوما في قول الله لسيدنا عُزير الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه للحياة فقال له: (ولنجعلك آية للناس)، فما آيته بالنسبة لك؟، وكيف أنه لم ير نعيم قبر؟، وكيف مرت سنوات الموت عليه كلحظة؟.

*وهل تصورت أبدا بأن الشيخ/محمد متولي الشعراوي أنكر وجود عذاب قبل الحساب؟، وانه قال بانعدام الزمن بالقبر!؟.

*وهل كنت تعلم أن عذاب القبر أمر إيماني لا يتركه الله نهبا لاجتهادات الفقهاء التي قد تصيب وقد تخطئ؟.

إذا كانت إجاباتك كلها ب (لا) أو (لا أدري) فقم بمراجعة نفسك واهتماماتك ومعتقداتك في دينك الإسلام العظيم، وأعد تدبر دستوره القويم (القرءان الكريم)، والله أسأل المغفرة والهداية والتقوى لي ولكم أجمعين....آمين.

وليعلم الجميع أن موضوع عذاب القبر ليس بموضوع غير مهم ـ كما يقولون ـ فإن جند إبليس اللعين لا يريدون منا أن نفتح النار على أي من مغانمهم التي دان لهم الاستقرار بها، لأن الشيطان يسعد بتدين الإشراك بالله الذي يدفعون الناس إليه.

وإن منتجعاتهم الفقهية التي ركنوا إليها ودفعوا الناس دفعا لانتهاج نتائجها هي من أهم عناصر فساد نهج أمر هذه الأمة مع ربها، وبالتالي ضياع دينها ودنياها، وهي تلك التي يطلق عليها بعضهم المعلوم من الدين بالضرورة، ويقول عنها آخرون ثوابت الأمة والتي تكمن عناصرها في مبارزة القرءان بالسنة النبوية، فيقول أشياخهم على الهواء مباشرة: [إن ثبوت حجية السنة واستقلالها بتشريعات الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام].

ويقولون: [هناك سنة موجبة لما سكت القرءان عن إيجابه، أو محرمة لما سكت القرءان عن تحريمه] وهو ما يطلقون عليه السنة المنشئة للتحليل والتحريم، فهم بذلك ينكرون كفاية نصوص

القرءان، ويدسون رواياتهم المزيفة لمضاهاة كتاب الله في الحكم تحت اسم (حديث صحيح) فهي عندهم واجبة النفاذ لا يتجاهلها إلا فاسق.

ومنهم من يقول: [السُّنة قاضية على القرءان وقاضية فيـــه، وناسخة للقرءان فيما انتهت إليه من أحكام] .

وكل ذلك من الإشراك بالله، فكيف يُحكِّمون الفرع في الأصل؟، وكيف يُحكّمون الروائيات البشرية فـــي الـــوحي الســـماوي؟، وكيــف يخلطون الأمور على الناس ويقولون بأن السُّنة النبوية وحي سماوي؟، فهي عندهم وحي بلا ضوابط. نعم السُّنة العملية فيما يخص الفـــرائض تنفيذ للوحي بالوحي، لكنها ليست وحيا حين يشـــرب المـــاء جالســـا القرفصاء على دفعات ثلاث، ولا حين يتـــداوى بالحجامـــة، ولا حـــين يعقص شعره أو يطلق لحيته، فكل ذلك كان من عادات قومه وبشـــريته ﷺ، وهم يظنونها من هالات الكمال الحق بينما هي ليست بسننٍ أصـــلا لعبد يحب أن يتبنى الكمال الحق، ويتأسى برسول الله ﷺ.

أما السُّنة القولية الأحادية المصدر، وغير المحفوظة بحفظ الله فهي ليست وحيا، لما فيها من بلايا الإسرائيليات ورزاياهم حتى يومنـــا هذا، ولقد تأثر المفسرون بنهج تلك السنن المزعوم نقاتها، فقالوا فـــي تفسير القرءان وفق ما جاء بالسُّنة القولية رغم مـــا فيهـــا، فجـــاءت تفسيراتهم وقد اختلط بها المفهوم الروائي.

ولم يكتف أولئك الذين يطلقون على أنفسهم لقب (سلفية) بذلك، بل تزعموا الغلظة والفظاظة مع مخالفيهم، ولا عجب إن رأيت فقههم لا يستند إلى منهاج علمي قدر استناده على تقليد أفكار السلف وأتباعهم رغم وضوح القرءان، ومخالفتهم للفطرة السوية للعقل، وجعلوا ذلك الاتباع متعطل العقل من ثوابت الأمة.

بل لقد جعلوا لكل معضلة تبريرا، ولكل تناقض شرحا، فهم ثم يكتفوا بقولهم بأن السُنة شارحة وهم يعنون بذلك السُنة القولية، لكن تجدهم يشرحونها لما فيها من تناقض لا يتسع المجال للخوض فيه، فضلا عن تناقض بعضها مع القرءان، فكأن الشارحة تحتاج لشارح.

لذلك لا تعجب حين يخرجون جحافل يدافعون عن وجود عذاب القبر، وقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ورضاع الكبير، ولباس النقاب للمرأة، ويصرون على إلصاق حكم الزنا بالمرأة المتعطرة، وقتل المرتد، وتارك الصلاة، وغير ذلك من صنوف الغلظة والبدع.

وحين تركناهم يعبثون بالأحكام، تطاولت سُنتهم لتُمسك بتلابيب الإيمانيات والعقائد، فقالوا بعذاب القبر، وكفر تارك الصلاة وغير ذلك من الإفك المبين، وحملوا الناس بما يملكون من وسائل اتصال جماهيري على انتهاجه، لكن لا بد من دفاع عن دين الله وسط هذا

الإشراك، فهم يحللون ويحرمون، ويضعون الأحكام الإيمانية باسم السُنّة النبوية البريئة منهم.

ولا بد من الكفر أولا بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ إبراهيم: ٤٢، وعلينا أن نكفر بآيات تسلم الكتب، وبكل كلمة تحمل كلمة (يومئذ) بكتاب الله، قبل أن نقول بأنه أخرهم ليوم قبل يوم القيامة، وعذبهم بالقبر، وهل يمكنهم أن يجدوا لنا مخرجا نتعلل به، حين يسألنا الله عن جحودنا بتلك الآيات؟، فبماذا نجيب يوم العرض على الله حين يسألنا عن علمنا ماذا فعلنا به؟، أنقول له بأن السُنّة قاضية على القرءان، وبأنها موجبة لما سكت القرءان عن إيجابه، وأن صحيح السُنّة أوثق من القرءان؟، أعلن لكم بأني كفرت بفقه هؤلاء ولن أكون أبدا جاحدا بكلمات الله، فكما سبق وأعلنت بالتليفزيون بأني تركت تلك الشراذم من السُنّة والشيعة والقرءانيين وغيرهم من المتلاطمين، وقررت أن أطيع الله وأكون مسلما ربانيا تنفيذا لقوله: ﴿ ... وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ آل عمران: ٧٩.

سرد هام لبعض آيات تدل على وهم عذاب القبر

وسأسرد تباعا لمن يريد البيان، بعضا من آيات كتاب الله، تفيد حتمية تأجيل حساب ومصير الناس ليوم القيامة، بما يعني أن

كل من يقول بغير ذلك فهو مكذب بمئات الأدلة من القرءان. كذا من يلوي عنق بعض الآيات ليتصور بها العذاب المركب بدماغه من خلال ثقافته الروائية المندسة على السنّة، وذلك فيما يلي:ـ

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ إبراهيم: ٤٢. فهذه هي الآية العُمدة والتي ألقمها في فم كل من يقول بأن هناك عذابا قبل يوم القيامة، لأنه لابد وأن يكون مكذبا بهذه الآية أولا، ومتأولا بالباطل بما يزعمه من عذاب.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ آل عمران: ١٨٥. فكلمة (وإنما) تعني أن الجزاء لا يكون إلا يوم القيامة.

﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ البقرة: ٢٨١. فالتقوى هدفها يوم القيامة وليس يوما قبله، لأن الحساب يكون يوم القيامة.

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ النور: ٢٤ – ٢٥.

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ المرسلات: ١٥: أي (يومئذ) فقط، يعني يوم

القيامة علما بأن الآية الأخيرة من سورة المرسلات تكررت ١٠ مرات بذات السورة، وبإجمالي إحدى عشرة مرة بالقرءان.

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ الزلزلة: ٦ - ٨. فرؤية الأعمال والجزاء تكون يوم القيامة، ويومها فقط.

﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ ﴾ التكوير: ١٠ - ١٤.فالعلم يكون يوم القيامة وليس يوم الممات.

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ الانفطار: ١ - ٥. يعني ـ مرة أخرى ـ أن العلم بما تم من حسنات وسيئات يكون يوم القيامة وليس عند الموت كما يزعم البعض.

﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ المرسلات: ١٢ - ١٩. فكل من قال بأن الناس ستعذب بالقبر فهو مكذب بأن الأجل المحاسبي إنما يكون

ليوم القيامة، وهو ما قرره الله بآيات سورة المرسلات، والإهلاك الوارد بالآية يعني الموت، ثم بعده يكون الويل للمكذبين يوم القيامة.

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ المرسلات: ٢٥ – ٢٨. فالأرض كفاتا للأحياء والأموات على السواء لكن العذاب – أو النعيم – يكون (يومئذ) أي يكون يوم القيامة، وليس يوما قبله.

﴿ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ الذاريات: ١٢ – ١٤. أكان الكفار يستعجلون عذاب يوم القيامة وهم لا يدرون شيئا عن عذاب القبر، أم أنهم كانوا يعلمون به وصادقوا عليه، بينما كذبوا بعذاب الآخرة؟: أين عقل العقلاء؟.

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ الزمر: ٣٠ – ٣١.

﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الحج: ٦٩. فالحكم بين الناس فيما يختصمون يكون يوم القيامة.

﴿ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سبأ: ٤٢. فكلمة (فاليوم) تعني يوم القيامة فقط. وتذوق النار يكون يومها، لمن خفت موازينه.

﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ يس: ٥٤. فكلمة (فاليوم) تعني يوم القيامة والجزاء لا يكون إلا يومها.

﴿ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾ ﴾ النبأ: ٤٠. فالعذاب القريب الذي تم إنذار الناس به هو عذاب يوم القيامة، وليس بيوم الممات عذاب. واشتياق الكافر ليكون تراب يدل على عدم وجود أحداث عذاب بالتراب.

﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ النحل: ٢٥. يعني أن الحساب لا يغلق بالموت، بل لا تزال أوزار وحسنات تصل للموتى وفق أعمالهم.

﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ النحل: ٣٢. يعني من الوفاة إلى الجنة مباشرة وذلك لانعدام الزمن بالقبر، ولا يعني عذاب القبر كما يظنون.

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ الحاقة: ١٩ – ٢٢.

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الحاقة: ٢٥ – ٢٧. يعني أن من أوتي كتابه بيمينه لم يلق أي نعيم بالقبر، وإلا ما قال (إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ)، ومن أخذ كتابه بشماله لم يدر موقفه من الحساب إلا يوم القيامة، وإلا ما قال (وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ)، بما يدل على عدم معرفته لحسابه ومقعده إلا بعد أن تسلم كتابه، ويعني أيضا أنه لم يتعذب بقبره.

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ النحل: ١١١. ففيم سيكون الجدال طالما تم العذاب المزعوم بالقبر وسيستكمل بعذاب جهنم؟!، هل الجدال والميزان والصراط وتكلم الأيدي والأرجل وغير ذلك تمثيلية؟!.

﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ﴾ ق: ١٩ – ٢٠. أي من سكرات الموت إلى القيامة مباشرة، والوعيد ليس ساعة الموت لكنه يوم القيامة.

أما قول الكافرين حين البعث: ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ... ﴾ يس: ٥٢، فهو أمر ينفي وجود عذاب القبر المزعوم، لأنهم كانوا بحالة رقاد، والرقاد ما هو إلا سبات لا شعور فيه، أما قولهم يا ويلنا فلأنهم كانوا

مُكذبين بالبعث، وفوجئوا بالبعث حقيقة واقعة، لذلك فقد علموا سوء مصيرهم من رسلهم أومن الدعاة المخلصين، فقالوا مقولتهم (يا ويلنا).

وأما ما يحتجون به من عذاب موهوم بالقبر عن آية آل فرعون فهي تخص آل فرعون فقط، وليست بالقبر الأرضي، وتراهم يسحبون علينا عذابا مخصص لآل فرعون، أو لآل نوح في حجتهم بالآية الواردة عنهم أيضا: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ نوح: ٢٥، ثم يفصلون مصيرنا في الآخرة، فقد كان من المنطق طالما جعلوا مصير المسلم ضميمة لمصير الكافر بالقبر، فكان عليهم ألا يفصلوا ذلك المصير يوم القيامة، ومن أنبأهم بذلك الفصل؟، ما أراهم إلا بأنهم يلوون عنق الآيات ليحصلوا على تأييد موهوم لهم من كتاب الله عن عذاب بالقبر ثم تركيبه بأدمغتهم بسنّة مزيفة.

والموتى لا يسمعون بدلالة نصوص صريحة بكتاب الله بالآيات أرقام: [٨٠ النمل& ٢٢ فاطر & ٥٢ الروم]، فمن يريد تكذيب القرءان فليفعل، وليعتقد ما شاء له إبليس أن يعتقد.

والنبي لا يعلم الغيب بنص الآيات: [٥٠ الأنعام & ١٨٨ الأعراف & ٢٠ يونس& ٣١ هود & ٦٥ النمل & ٩ الأحقاف]، أما ما يحتجون به من أن الله قال بآية رقم ٢٦ من سورة الجن بأنه يُطلع بعض الرسل على بعض الغيب، فنعم، لكن ما أطلعه عليه من الغيب

وارد بكتاب الله من قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ وقد تكرر ذلك المعنى بالقرءان بالآيات: [٤٤ آل عمران & ٤٩ هود & ١٠٢ يوسف]، فلا يجوز لكل مختال أن يخيل له فيختال بالنبي ويظن أنه على دين بينما قد خرج منه دون أن يدري، لأن فقههم يضرب القرءان بعضه ببعض وهم يُفسدون ولكن لا يشعرون.

وما يتصورونه من وجود زمن بالقبر يكون فيه العذاب الموهوم أو النعيم المظنون فقد تم نفيه بنصوص كتاب الله ويمكن الرجوع إليه ص٥٩ من الكتاب تحت بند [الموتى – الزمن – الشعور].

هذا إلى غير ما نتلوه الآن عن أبو لهب ونقول: ﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ المسد ٣، أي سيصلى النار بالمستقبل، وما نتلوه ونظنه عن أبو بكر الصديق ونقرأ الآن: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ .... وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ الليل: ١٧ & ٢١؛ أي ستتم تلك النجاة وذلك الرضا بالمستقبل.

وبعد: فتلك كانت عينة قوامها أكثر من مائة آية، وهي تكفي لمن يريد أن يتصدى لفكر الأوهام والإشراك والتناقض، وعلى كل من يقول بعذاب القبر أن يُبرز لنا حُجة نحتج بها أمام الله نخرج بها من تكذيب كل تلك الأدلة القطعية الثبوت والقطعية الدلالة، التي لا تنهض أمامها ترهات يقول قائليها بأنها (حديث صحيح) فلم يكن رسول الله ﷺ

إلا نبي كان خُلُقُهُ القرءان ولم يخالفه أبدًا... كذلك لا تنهض أمامها تأويلات من فقهاء ومفسّرين لآيات معدودة من كتاب الله يلوون بها الحقائق، فهي لا تمثّل إلا أوهام نفوس تأثرت بروايات ظنية الثبوت وظنية الدلالة، وكان عليهم أن يعلموا بأن النص القرءاني القطعي الدلالة حاكم على النص الظني الدلالة، وحاكم على الحديث النبوي.

وأخيرا أصرّح بأنه يطيب لي أن أجد نفسي منكبا للدفاع عن كتاب الله عن أن أضارع بالسُّنّة القولية آياته ﷻ، وأعجب لكم أيها المدافعون عن كل ما ورد بصحيح البخاري بينما لا تعلمون حتى مجرد اسم ذلك الكتاب، فأنتم تتصورون بأنه كتاب أحاديث قولية لرسول الله، فهكذا تم حشو الأدمغة من دعاة الغفلة، لكن إن اطلعتم على الحقيقة لفزعتم، فهو كتاب به أقوال منسوبة للنبي، ومرويات عن أحواله لم يقل هو فيها شيئا، وأحوال تمت في أيامه لم يكن مشاركا فيها، فهكذا اسم الكتاب: (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسُنته وأيامه). وهو كتاب صحيح في مجموعه وإن كان لا يخلو من العلل.

أرأيتم كم تتشيعون لما لا تعلمون؟، وكم تقولون (هذا ما ألفينا عليه آباءنا) وأنتم لا تشعرون؟!، لعلكم جميعا ـ إلا النفر القليل ـ أدركتم كم كنتم مقصّرين تجاه عقائد تُصرّون عليها وأنتم لا تُبصرون؟!، بل وتؤمنون في ترخّص وبلا تمحيص يقبر به عذاب

وسؤال مزعوم. وقانا الله وإياكم سوء المصير، وتاب علينا لنتوب، وأدخلنا جميعا جنّة الرضوان فهو الرحمن الرحيم ﷻ.

الهدف من الكتاب:

لعل القارئ يتعجب أن يكون موقع الهدف من الكتاب بنهاية المطاف، لكني أردت وضع حد للمتشككين، حيث وضعت لشكوكهم منهاجا يُبرز لهم بعضا من خبيئة نفوسهم بنهاية الكتاب ـ إن وصلوا لنهايته ـ فالهدف أجلّ من أن يصل إليه أهل الشك في كل تعقل.

أبدأ أولا بذكر أهمية الأمر، فعن مدى أهمية مناقشة الموضوع، فهو على المستوى الشخصي نهدف منه النهوض بتدبر المسلم لآيات كتاب الله وعدم تكذيبها تحت وطأة معتقدات موروثة متصادمة مع صريح مئات الآيات. بما يعني تطهير عقيدة المسلم، وهو هدف جليل لكل مسلم يهدف النجاة لنفسه.

وعلى المستوى العام، نهدف أن يكون جيلنا حجر عثرة في وجه الفقه الإبليسي أن ينتشر بين المسلمين، كذا إزالة التناقضات التي أنشأها الفقه القديم في عقيدة المسلمين، لأن تلك التناقضات ـ إن استمرت ـ ستكون سببا في خروج بعض الأجيال التالية من الملّة. خاصة وأن العقول تتطور سريعا، وإدراكها لم يعد كغفلة الجمهرة من أهل الأمس الذين كانوا لا يمحّصون ما يُقال لهم.

موضوعات الكتاب

تم بحمد الله وتوفيقه يوم الجمعة الموافق ٢٨/١١/ ٢٠٠٩
الموافق العاشر من ذي الحجة لعام ١٤٣٠ هجرية.

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ
ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾
يوسف: ١٠٨

مطابع مصطفى الهلالي
٤٣ شارع كامل صدقي الفجالة - القاهرة
ت : ٢٥٨٩٥٨٠٦ فاكس : ٢٥٩٠١٣٥٥